د. محمد فتّوح

أمركة العالم
أسلمة العالم
مَنّ الضحية ؟!





أمركة العالم أسلمة العالم مَنْ الضحية ؟!

د. محمد فتّوح

أمــركة العالم
أســلمة العالم
مَنْ الضحية ؟!

الكتاب : أمركة العالم أسلمة العالم منْ الضحية ؟!
الكاتب : د . محمد فتوح - باحث أكاديمى وكاتب
الطبعة الأولى : أكتوبر ٢٠٠٧ م - شوال ١٤٢٨ هـ
الطباعة : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ، ١٠ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣
رقم الإيداع : ٢٣٠٤٤ / ٢٠٠٧

إهداء

إلى: "ديمقراطية الوجدان"...
التى ترحب بالاختلاف...
تسعد بالتنوع...
تفتح "للآخر" أبواب
التواصل... تسير معه فى
دروب الحوار... من أجل
حياة أكثر ثراءً... وعدلاً
وجمالاً...
إلى مبدأ "الدين لله والوطن للجميع"
الذى أتمنى أن يسود، العالم الإنسانى...
والذى بدونه لن تنتهى بحور الدماء،
وتبقى السحب القاتمة،
إرهابا للسماء

محمد فتوح

المحتويات

عقول ذكورية فى
أثواب نسائية

لا أعرف لماذا ارتبط شهر أبريل بالكذب حيث يبدأ هذا الشهر بكذبة "كذبة أبريل". وكأننا لا نمارس الكذب على مدار الاثنى عشر شهراً من شهور السنة، نكذب على أنفسنا ونكذب على الآخرين، كذب بكل الألوان أغلبه من النوع الأسود القاتم، كذب فى السياسة والاقتصاد والثقافة، وفى كل مناحى الحياة.

ومع انقضاء شهر مارس، شهر الاحتفاء بنضالات وكفاح المرأة عالمياً ومصرياً، فإننى هنا أود التعرض لكذبة كبيرة ظلت سارية عبر التاريخ صدقها الرجال والنساء، وهى أنه كلما تقلدت النساء المناصب القيادية كلما تبع ذلك بالضرورة تحرير المرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل، فمع كل يوم تحقق المرأة انتصاراً جديداً مقتحمة المجالات العديدة والمختلفة التى كان يستأثر بها الرجال وخاصة فى مجال السياسة لتصل إلى أعلى المناصب القيادية.

ففى غضون أشهر قليلة ماضية جاءت إلى السلطة خمس نساء فى ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٥ تقلدت إنچيلا ميركل منصب أول مستشارة لألمانيا، وفى يناير ٢٠٠٦ جاءت إلين چونسون كأول رئيسة لدولة أفريقية هى ليبيريا، وفى العاشر من مارس ٢٠٠٦ تم حفل تنصيب رئيسة تشيلى ميشيل باتشيليت، وفى المنتصف الثانى من مارس ٢٠٠٦ فى سابقة هى الأولى من نوعها فى المنطقة العربية، عين الرئيس السورى بشار الأسد وزيرة الثقافة السابقة د. نجاح العطار نائبة له مفوضة بمتابعة السياسة الثقافية، فى إطار توجيهاته، وأخيراً أصدر رئيس كوريا الجنوبية روه موميون قراراً غير مسبوق بتعيين هان ميونج سوك المحامية والناشطة فى مجال المرأة، وعضو حزب أورى الحاكم، رئيسة للوزراء للمرة الأولى فى تاريخ كوريا الجنوبية.

ويلاحظ الفرق الكبير فى الطريقة التى تقلد بها النساء الخمس لهذه المناصب القيادية، ففى الحالات الثلاث الأولى، قد تم اختيارهن عن طريق الانتخاب، أما فى الحالتين الأخيرتين فعن طريق التعيين، وبغض النظر عن ذلك إلا أننا نجد أنفسنا أمام خمس حالات لنساء قد ألقى على كاهلهن مسئولية كبيرة من خلال تقلدهن لهذه المناصب المهمة.

إن اختيار السيدة نجاح العطار لهذا المنصب يثير الكثير من التساؤلات، هل اختيارها لهذا المنصب القيادى يعد إفرازاً طبيعياً لتقدم وتميز المرأة السورية؟ هل نالت المرأة السورية قدراً كبيراً من حقوقها السياسية، الأمر الذى مهد للدكتورة نجاح أن تتقلد هذا المنصب الحساس؟ هل سارت المرأة السورية بخطى واثقة نحو

تحررها الاجتماعى والاقتصادى؟ هل التشريعات والقوانين على اختلافها تنصف النساء السوريات بالمقارنة بمثيلاتهن فى الدول العربية الأخرى؟

الإجابة عن هذه التساؤلات بالنفى، ففى مجال القانون المدنى تعد المرأة السورية مواطنة كاملة الأهلية من حيث الحقوق والواجبات، أما فى ظل قانون الأحوال الشخصية فتعامل على أنها مخلوق ناقص الأهلية، فكما تقول د. مية الرحبى فى إحدى المطبوعات الصحفية أن بعض مواد قانون الأحوال الشخصية تفرض على المرأة السورية الولاية، وتحرمها من الوصاية على أولادها، حتى لو كانت هى وحدها المتكفلة برعايتهم وتنشئتهم، بل إن القاضية ولية من لا ولى له بحكم القانون، لكنها ليست ولية على نفسها وأولادها، وزوج الوزيرة يحق له نظرياً منعها من السفر إذا رغب فى ذلك.

إن أغلب النساء العربيات ومنهن النساء السوريات، مهمشات لا يمتلكن مصائرهن، بعيدات عن صنع القرار، وذلك بسبب سيادة وهيمنة النظام الأبوى الذكورى الذى يستأثر على كل أشكال السلطة، وبسبب المد الإسلامى الأصولى السلفى المتطرف الذى يحجر على المرأة ويتسلط عليها باسم الدين، وأيضا بسبب العادات والتقاليد وأسلوب التربية الذى يفرق بين المرأة والرجل منذ الولادة.

التطور الوحيد الذى يمكن أن ينظر له بقدر من الاحترام هو بعض المكتسبات التى نالتها وحصلت عليها المرأة التونسية منذ الخمسينيات من القرن الماضى على يد الرئيس "بورقيبة" والتى حافظت عليها وتكافح من أجل استمرارها.

إذن ما السبب وراء اختيار امرأة كالدكتورة نجاح العطار فى هذا المنصب الحساس الذى هو قريب من صناعة القرار السياسى؟ هل هى الثقة فى قدراتها بالمقارنة إلى كل الرجال المحيطين بالرئيس بشار الأسد؟ هل هى الاستفادة من خبرة هذه السيدة المجربة والمخضرمة التى قضت أكثر من خمسة وعشرين عاماً كوزيرة للثقافة فى زمن الأسد، الأب وكمؤسسة لمركز الدراسات الاستراتيچية فى زمن الأسد الابن؟!

هل هى وسيلة لتغيير وتبييض وجه النظام بما يوحى بالإيمان بقدرات النساء، وأنهن أنداداً للرجال، بل قد يتفوقن عليهم؟ إن النظام السورى لا يختلف كثيراً عن أغلب الأنظمة العربية الأخرى، فالمسألة ليست انحيازاً للنساء وليست نوعاً من الدفاع والتبنى لقضايا المرأة.

إذن فالمسألة لا تتعدى إلا أن تكون اختياراً "لعقل رجولى ذكورى فى هيئة امرأة وحسب".

إن مشاركة المرأة وفاعليتها فى كل مناحى الحياة عالميا وعربيا هى من الأمور الضرورية والمهمة التى تحسب للنساء، ولكن أن تفكر وتحكم المرأة بعقلية ذكورية، فهذا ليس نصراً لقضية المرأة حتى لو تقلدت أعلى المناصب، فالكثير من النساء فى مصر مثلاً واللاتى يتقلدن مناصب قيادية يفكرن ويسيرن الأمور بعقلية الرجل، بل

تجدهن أكثر تعصباً من الرجال أنفسهم فيدافعن عن دونيتهن ويتآلفن مع ميراث القهر الذكورى دون الشعور بأى نوع من الظلم الواقع عليهن.

إن التحليل النفسى لهذه الظاهرة يكمن فى أنه غالباً ما يستدمج المقهور شخصية القاهر، فيدافع عن أفكاره باستماتة ويتبنى هذه الأفكار دون أن يجد غضاضة فى ذلك.

إن تحرير المرأة وحصولها على العديد من المكتسبات ليس مرهوناً بتقلد الكثير من النساء للمناصب القيادية، فعلى سبيل المثال نجد أن مارجريت تاتشر ــ رئيسة وزراء إنجلترا السابقة ــ والتى كانت توصف بالمرأة الحديدية قد خسر النساء فى ظل حكمها العديد من المكتسبات، فهى كانت تمثل ذروة الذكورية والرجعية.

إن هناك أمثلة كثيرة تدعم هذا الرأى، فجولدا مائير ومادلين أولبرايت وكونداليزا رايس لسن إلا عقولاً ذكورية فى أثواب نسائية، لقد تعهدت رئيسة تشيلى ميشيل باتشيليت بتشكيل مجلس للوزراء يتقاسم فيه الرجال والنساء الحقائب الوزارية، وأنها ستحارب من أجل تحقيق المساواة بين النساء والرجال فى تشيلى، فهل ستفى بتعهدها هذا؟

لقد تولت المرأة أكثر من ثلاثين منصباً قياديا فى السنوات القليلة الماضية تنوعت بين رئيسات دول أو حكومات، ولكن القليلات منهن من يؤمن بطريقة تفكير مستقلة بعيداً عن الطريقة التى يفكر بها الرجال. إن المسألة تتعلق بالطريقة الإنسانية التى تفكر بها النساء وليس بعدد النساء اللائى يتقلدن المناصب القيادية.

إن طريقة التفكير الذكورية التى تكرس للتفرقة والظلم والكيل بمكيالين وإشعال الحروب والمتاجرة بالأسلحة وتسليع النساء هى السبب الرئيسى وراء كل الكوارث التى عانت منها البشرية حتى الآن.

نحن فى حاجة ماسة إلى أنسنة الحياة، فعندما تنتهج القيادات النسائية وأيضاً الرجالية منهجاً جديداً فى التفكير، منهجاً يؤسس لأنسنة الفكر والسلوك حينئذ تكون البداية الحقيقية لصياغة عالم جديد يسوده العدل والحرية والمساواة.

"شو" عمرو خالد
وغضبة القرضاوى

لقد وقع الخلاف بين من يسكنان فى البيت الواحد، دب الشقاق بين شخصين كل منهما يسوق ويتاجر فى نفس البضاعة، كل منهما يعتبر نفسه وكيلاً معتمداً ووصياً على مخلوقات الله من البشر المسلمين.

فالقرضاوى يرجع إليه الفضل والريادة والبدء فى تأجيج مشاعر المسلمين فى المشكلة الخاصة بالرسوم المسيئة للرسول. فمن مقر منتجعه المخملى الذى استراحت نفسه إلى الإقامة شبه الدائمة فيه بجوار دولارات الخليج، يجلس الشيخ فى الغرف والاستديوهات التلفزيونية المكيفة يصدر الفتاوى مستخدما أسلوباً ديماجوجيا، فيهب الجماهير من المسلمين وما أسهل أن توجه وتعبئ وتشحن وتأجج عواطف الناس خاصة إذا كان الأمر يتصل بالدين.

لقد أعلن القرضاوى الغضب والمقاطعة على دولة الدنمارك كلها بالرغم من أن شخصا واحداً هو الذى رسم هذه الرسوم، وبالرغم من أن الجريدة التى نشرتها لا توزع أكثر من خمسة آلاف نسخة، فاشتعلت المظاهرات وكانت المقاطعات وسحب السفراء، وحرقت ودمرت بعض السفارات والكنائس، وهدد بعض الأجانب، وطالب البعض بقطع رؤوس من أساؤوا إلى الرسول، وسقط الكثير من القتلى المسلمين تحت أقدام المتظاهرين وبرصاصات رجال الامن المسلمين أيضا.

لقد تحولت حمى الغضب إلى فيروس شرس ينتشر ويعربد فى الجسم الإسلامى كله، فالبسطاء من المسلمين من جانب تأججت مشاعرهم واستشاطت نفوسهم باسم الغيرة على الإسلام والدفاع عن الدين وحرصا على مكانة الرسول، فأعلنوا حرباً ضروساً لا هوادة فيها. ومن جانب آخر لم يعد خافيا على أحد أن هذه المظاهرات قد استخدمت استخداماً سياسياً بعيداً عن الغيرة على الدين أو حرصاً على مكانة الرسول.

لقد علق القرضاوى على هذه المظاهرات بأنها أثلجت صدره برغم ما سقط من قتلى لكنها فى نظره قد عبرت عن مدى تماسك ووحدة المسلمين فى شتى بقاع الأرض.

إن القرضاوى يكيل بمكيالين أو أنه يقع فى التناقض البين الذى قد لا يعيه أو يدركه، لقد اعترض وغضب الشيخ حينما وقع الخلاف بين السنة والشيعة فى العراق على إثر تدمير مرقدى الإمامين فى سامراء وأخذ يلوم بعض المرجعيات الشيعية والتى دعت إلى تنظيم المظاهرات السلمية لإدانة هذا العمل محذراً من

خطورة هذه المظاهرات حتى لو كانت سلمية، معللاً ذلك بأن هؤلاء المتظاهرين يخضعون لما يطلق عليه فى علم الاجتماع بـ "العقل الجمعى" الذى يقصد به الشيخ القرضاوى أن يتحرك الناس وفقا لسيكولوچية القطيع أى أنه لا يمكن السيطرة على سلوكيات ومشاعر الناس فى مثل هذه المظاهرات التى يحركها الغضب والانفعال حتى لو كانت سلمية، ومع ذلك تناسى وتجاهل الشيخ هذا التفسير الاجتماعى فى المظاهرات ضد الرسوم المسيئة للرسول، فأحرقت السفارات وقتل البسطاء من المسلمين الذين دفعهم القرضاوى دفعاً بسبب تحريضه لرجال الدين وخطباء المساجد فى العالم الإسلامى وشحنهم باسم الدفاع والذود عن الدين.

إلى هنا وعمرو خالد لم يظهر على مسرح الأحداث بالشكل الذى يرضيه، إن دوره كان عادياً بل وهامشياً بالنسبة للبطولة المطلقة التى قام بها الشيخ، ومن هنا كان البحث عن دور، عن "شو" ينهى به العرض، ولأن عمرو خالد قد جاور الفنانين والفنانات، المعتزلين منهم والمعتزلات، وعلية القوم وبعض رجال الأعمال من أصحاب القنوات الفضائية الدينية فقد أصبحت النجومية تسرى فى دمه خاصة بعد أن نجح نجاحاً منقطع النظير فى دغدغة المشاعر الدينية مسيطراً ومهيمناً على قلوب وعقول الشباب والشابات الذين خذلهم واقعهم واستعصت عليهم أحلامهم البسيطة، فسلموا واستسلموا وراحوا يتذللون ويبكون علهم يكفرون عن ذنوب لم يقترفوها.

إذن كان لابد لعمرو خالد أن يتسلق ليشارك الشيخ فى دور البطولة أو يزيحه من على خشبة المسرح ليستأثر بالبطولة المطلقة.

ومن هنا كانت غضبة الشيخ كيف يشوه عمرو خالد القصة فى آخر فصولها، ليعبث بالحبكة والنهاية المفتوحة. لقد سحب البساط من تحت قدمى الشيخ، فبدلاً من أن تستمر المقاطعة والغضب جاء عمرو خالد مقترحاً أسلوب الحوار والمناقشة، لقد اتهمه القرضاوى بقطع الطريق على غضب الأمة ومخالفا "لإجماع المسلمين".

لقد استقبلت مبادرة عمرو خالد بالرفض من الأزهريين إلى درجة وصمه بالخيانة، ومهادنة الحكومة الدنماركية من أجل تحقيق مكاسب شخصية، وذلك بالطبع على حساب مصلحة الأمة الإسلامية.

وإذا حاولنا أن نتأمل كل من الأسلوبين التى واجه وتعامل بهما كل من الشيخ والداعية لقضية الرسوم المسيئة إلى الرسول، فعن المقاطعة أتساءل إلى أى مدى ستستمر هذه المقاطعة التى يصر عليها الشيخ القرضاوى وأعوانه؟ وإن قدمت الحكومة الدنماركية اعتذاراً هل ستستمر المقاطعة؟ هل سنقاطع حكومة الدنمارك فقط أم سنقاطع كل الدول التى نشرت فى صحفها الرسوم المسيئة للرسول؟ وأود أن أذكر هنا أن بعض البلاد العربية والإسلامية قد نشرت هذه الرسوم، فهل سنقاطعها أيضاً؟. هل سنقاطع المنتجات الغذائية أم سنقاطع الصناعات الأخرى؟ إن الدنمارك مثلاً تعد من أكبر المصنعيين والمنتجين لعقار الأنسولين فهى تنتج ٨٠% من

الانتاج العالمى أما بقية دول العالم فتنتج ٢٠% فإذا لم نكن نستورد عقار الأنسولين منها وتعذر علينا استيراده من أى دولة أخرى، فماذا سنفعل هل سنقاطعها، ومصر وحدها يوجد فيها ستة ملايين من المرضى بالسكر والذين لا غنى لهم عن هذا العقار. ثم إن ما تصدره الدنمارك إلى البلاد العربية والإسلامية يقترب من ١,٥% من صادراتها، فالمقاطعة سوف تكون بلا جدوى ولن يكون لها تأثير كبير.

إن أسلوب المقاطعة قد أثبت فشله فى أغلب الأحيان، ألم نجرب من قبل مقاطعة المنتجات الأمريكية والمنتجات الإسرائيلية وفشلنا فشلا ذريعا.

أما ما يطرحه عمرو خالد لفكرة الحوار فأود أيضاً أن أتساءل مع من سيتحاور فى كوبنهاجن، مع الحكومة أم مع الشباب الدنماركى؟ وماذا سيقول لهم لكى يقنعهم بالاعتذار الذى وضعه شرطاً لإنهاء المقاطعة؟ هل يعتقد أن سفره بمصاحبة مجموعة من شيوخ الفضائيات هو الذى سينتزع من الحكومة الدنماركية هذا الاعتذار الذى فشلت كل الحكومات العربية والإسلامية فى انتزاعه؟ والسبب بسيط هو استقلالية الجريدة التى نشرت الرسوم والتى لا سلطة لحكومة الدنمارك عليها، أما الجهة التى كان من المفترض أن يعول عليها فى هذه المشكلة هى القضاء. وهو ما استعصى على فهم هؤلاء الدعاة والشيوخ. لقد استخدم عمرو خالد طريقته التى يلعب بها على المشاعر لاستمالة من يحاوره، وهو ما لا يتناسب مع الغربيين الذين يأخذون من العقل وسيلة ومنهجاً فى المناقشة والحوار.

وللأسف جاءت نتيجة هذه الخطوة فاشلة كما أكد الشيخ رائد حليحل رئيس اللجنة الأوروبية لنصرة النبى، فقد غاب التمثيل الرسمى الدنماركى عن المؤتمر الذى دعا إليه عمرو خالد بما فى ذلك الجهة الراعية للمؤتمر وهى وزارة الخارجية الدنماركية، ولم تجد فعالياته أية أصداء فى الأوساط السياسية واقتصر حضوره على الدعوات الخاصة وكان أشبه بجلسة مغلقة.

إن موضوع الرسوم المسيئة للرسول كان من الممكن احتوائه ووأده منذ ولادته لو أن الشيوخ والدعاة ممن ينصبون من أنفسهم أوصياء على المسلمين، كانوا قد تريثوا واحتكموا إلى العقل بدلاً من إثارة وتأجيج مشاعر المسلمين، فكان الحصاد مراً، قتلاً وحرقاً وتدميراً الأمر الذى يؤكد ويخدم فى النهاية فكرة الغرب عن عدوانية المسلمين وعدم إجادتهم إلا للغة الدم والعنف والإرهاب.

متى ندفع الثمن لنستحق
الديمقراطية أو العدالة أو الحرية؟؟

إلى أى مدى نحن مجتمعات تستحق أن تنعم بالديمقراطية... وأن تقطف من ثمار الحرية، ما لذ وطاب... أن تتذوق متعة تطبيق العدالة فى كل أمور الحياة؟!

نتكلم عن ضرورة "الديمقراطية"، وحقنا فى العدالة والحرية، وأنه قد آن الأوان، أن تأخذ المجتمعات العربية الإسلامية، نصيبها الذى تستحقه، من هذه الثمار الطيبة.

ولعلنى "أشذ" عن "الجميع"، حين أخالف هذا الرأى وأعلن: "عفواً... لم يأت الأوان بعد". وبالطبع وكالعادة، وقبل أن أشرح وجهة نظرى، سوف أتهم من "البعض"، بأننى "غير وطنى"... "لا أحب مصر"... "خائن"... "عميل"... "متآمر"... "جاهل بالسياسة"... "مثبط للهمم الوطنية المخلصة"... "كاره لتقدم البلد"... "مزايد باسم الديمقراطية، والعدالة، والحرية"، وغيرها من الصفات التى تخرجنى من قائمة الوطنيين الشرفاء... المخلصين لتراب الوطن.

وفى الحقيقة، مثل هذه الاتهامات، تؤكد رأيى: "أننا مجتمعات، ترسخ بسلوكياتها، وأحكامها الانفعالية، غير الموضوعية، المتعصبة، طول المسيرة التى تنتظرنا.

والمنطق الذى يبلور فكرتى هذه، أن "الديمقراطية"، و"العدالة"، و"الحرية"، هى "ثمار" جميلة، حلوة المذاق، والثمرة الحلوة الجميلة، تستحق أن "يتعب" الإنسان للحصول عليها، وأن يثبت بألف طريقة، أنه بجدارة يستحقها.

نحن مجتمعات، لا تنجز شيئا فى أى مجال، من شأنه أن يدفع بنا، إلى ترك الصفوف الخلفية لمسرح الوجود، والتقدم ولو عدة صفوف إلى الأمام، ولا أقول الصفوف الأمامية، التى هى محجوزة مقدما، للشعوب التى دفعت قبلنا الثمن اللازم للتحرر، والتقدم.

أريد أن يجاوبنى أحد: ما الذى نفعله، لنستحق عليه أعظم القيم، الديمقراطية والعدالة والحرية؟!

نحن مجتمعات غارقة، فى التعصبات الدينية والمذهبية، والطائفية... متعصبون ضد تحويل الدين إلى خدمة وإسعاد البشر... متعصبون لاجتهادات السلف فى عصور لا تصلح من أحوالنا حاليا... متعصبون ضد العدالة بين الرجال والنساء... متعصبون ضد الدول التى لها ديانات أخرى، أو ليس لها ديانات من أصله... متعصبون ضد "الآخر" الذى يطرح الجديد... غير المألوف... متعصبون ضد حرية الإبداع الفكرى والفنى.

نحن مجتمعات لا تجيد شيئا، مثل الكلام والتنافس الحنجورى، والسباق فى عمل اللجان والندوات وكتابة توصيات لا تنفذ، والتوقيع على اتفاقيات لا تطبق.

جميع تفاصيل حياتنا من الألف إلى الياء، تحتاج "عَمْرة" كاملة... الموتور لابد أن يتغير... الموتور أصبح خشناً، صوته عال... عليه صدأ وغبار ورمل وبقع... والموتور هو "العقل" و"الزيوت" كلها لم تعد تصلح... والزيوت هى "العادات والتقاليد والعُرف الموروث"... هناك فجوة هائلة بين الزعيق الذى نسمعه عن الديمقراطية والعدالة والحرية، وبين ما نفعله كل يوم، فى علاقاتنا ببعضنا البعض.

الديمقراطية، والعدالة، والحرية، هى نتاج شعب مبادر، إيجابى... نشيط، يقظ للفتن الدينية... يرفض كسل الرموز الدينية، لا يؤله الحكام... ينطق إذا رأى خطأ ما فى أى مكان ولو كان تافهاً (تجاوزاً لأنه لا يوجد شيء تافه)... الديمقراطية والعدالة والحرية، لن تأتى إلى مجتمعات، تعيش بيوتها على السلطة الأبوية وقهر الزوجات وكبت الأطفال... الديمقراطية، لن تأتى لمجرد، أننا نزعق مطالبين بها... العدالة، لن تجيء لمجرد، أننا متذمرون طول الوقت، لكننا سلبيون... متواكلون... والحرية، لن تنعم بها تجمعات، وشعوب تقتل الحريات فى البيوت... وتشتم الآراء الحرة المخالفة... وتكفر الناس التى تجتهد فى رؤى التغيير، وتنادى بالعلمانية وعدم خلط ورقة الأديان بورقة قوانين المجتمع المدنى.

الديمقراطية والعدالة والحرية، قبل أن تكون أنظمة حكم سياسية، هى أولاً سلوكيات الشعب فى البيوت والشوارع وكل مكان.

الوطنية عندى، هى النقد اللاذع الصريح لوطنى، لكنه النقد الذى يسبب الصدمة الضرورية للإفاقة، وإدراك حقيقة وجودنا على الخريطة السياسية والحضارية.

افتراءات رجل ذكورى
يدمن الجمود والتعصب

كنت أعتقد أننى سأقرأ نقداً رصيناً يصدر عن إنسان قد عرف نفسه بأنه أكاديمى متخصص فى الفلسفة والأديان، لكن لأول وهلة قد خاب ظنى حيث تبينت أن ما جاء فى مقال د. عبد الله البهنساوى بصدد الموضوع الذى طرحته د. منى حلمى ــ والمثار حاليا والمتعلق بالانتساب إلى الأب والأم معا ــ لا يتعلق بالنقد من قريب أو من بعيد. بل هو مجموعة من الشتائم المسفة وكم من المغالطات التى يغلفها سوء الفهم والانفعال الممتزج بالعصبية التى قد تصل إلى الهستيريا المرضية، وعدد من الأكاذيب الفجة التى تحط من قدر كاتبها أكثر مما تدعو إلى احترامه.

لقد نصب كاتب المقال من نفسه محللاً نفسياً يُقيم ويصدر الأحكام ويصف معارضيه بالمرض النفسى وعقدة النقص دون أن يكون لديه الحد الأدنى من المعرفة إلا من خلال برنامج تليفزيونى واحد.

وأنا أسأله هل قرأت كل مؤلفات د. منى حلمى؟ أشك فى أنك قد قرأت لها مقالاً واحداً وإن كنت قد قرأته فأشك أنك بهذه العقلية أحادية الفهم قد استعصى عليك فهم ما تعنيه أو تقصده، ومثال ذلك، الفهم المشوش لأحد العبارات التى تضمنها أحد المقالات التى نشرت فى مجلة روز اليوسف تقول د. منى حلمى: "كانت أحلامى صعبة، غريبة، بل مستحيلة" إن هذه العبارة بداية لمقال قد صاغته د. منى فى ثوب أدبى رفيع، إن جماليات الأدب تحتاج إلى متذوق مرهف الحس رفيع المستوى، وهذا ما أعتقد أن البهنساوى يفتقده.

لقد وردت هذه العبارة فى سياق يربطها بما بعدها، فتعمد الكاتب ألا يذكر هذا الارتباط ويتجاهله مثل "لا تقربوا الصلاة" لكى يمارس عادته فى تشويه الناس ويحمل هذه العبارة ما لا تحتمله. لقد تجرأ وفعل ثلاثة أخطاء دفعة واحدة: الأولى أنه قد أعطى لنفسه الحق فى أن يفسر أحلام الكاتبة بالتطلعات، والثانى أنه أصدر حكماً بأن تطلعات الكاتبة أكثر من إمكانياتها، والثالث أن من تكون تطلعاته أكبر من إمكانياته يتصف بعدم السواء النفسى، ما هذا العقل المشوه المرتبك غير المنظم ما هذا القفز من مقدمات هى من صنع خيال الكاتب المريض إلى نتائج تعد حججاً على القصور الفكرى والعقلى لهذا الكاتب. إن الأحلام كما فهمها كاتب المقال لم تكن تعنيها بالشكل الحرفى الذى فهمه ــ ومع ذلك فإن أحلام اليقظة كميكانيزم دفاع ليست كلها سلبية على إطلاقها بل قد تكون فى حالات معينة دافعة إلى التفوق والتميز.

إن كاتب المقال لم يستفد من دراسته للفلسفة بل أساء إليها فأحكامه تفتقد إلى العقل والأدلة المنطقية التى تتسم بها الفلسفة، لقد قفز من مقدمات خاطئة إلى نتائج أكثر خطأ، لم يتحر الدقة، وانفعاله الشديد قد جرفه إلى التسرع، وهى الأوليات التى يحذر الفكر الفلسفى من الوقوع فيها، لقد اندهشت من وصف نفسه بالأكاديمى الدارس للفلسفة والأديان، فلم أعثر على فكر رجل كان من المفترض أن يفكر ويتعامل مع القضايا المطروحة بعقلية فلسفية محترمة، قد يكون حاملاً لشهادة الفلسفة ولكنه أبداً لم يتمثلها ويعيها ويفهمها.

يقول كاتب المقال أن السيد/ حلمى كان قاسياً على نوال ومنى، وأنا أتساءل من أين جاء بهذه المعلومة؟، هل قالت د. نوال ذلك؟ هل قالت د. منى ذلك؟ لقد قرأت كل مؤلفاتهما ولم أقرأ مثل هذا الكلام، وأتحداك أن تجد فيما كتبتهما هذا المعنى، لماذا تتقول على الناس بما لم يقولوه؟، لماذا تشوه الناس الشرفاء بافتراءاتك العارية عن الصحة؟ إن الأمر لم يعد تهجما بل تجاوز ذلك إلى الكذب وتزييف الحقائق. لماذا تكذب يا د. بهنساوى؟ أمن أجل قضية تختلف فيها مع الآخرين تشوه وتزيف الحقيقة؟ هل هذه هى الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها أكاديمى مثلك!!

إن كاتب المقال يخشى على المبادئ الأخلاقية من أن تحطمها فكرة كالتى طرحتها د. منى، وأنا أتساءل هل هذه المبادئ هى من الهشاشة إلى درجة أن الأخلاق البشرية ستقع وتتحطم من مجرد طرح فكرة كهذه، وأود أن أقول له أية مبادئ تلك التى تخاف على تحطيمها!، هل هى المبادئ السائدة فى عالمنا الآن تلك التى تكرس للازدواجية الأخلاقية وتكيل بمكيالين بين الدول والبشر؟، إن هناك أخلاق للرجال وأخرى للنساء، أخلاق للأغنياء وأخرى للفقراء، هل هذه هى الأخلاق البشرية السوية؟، هل تغار حقاً على قيم الإنسانية الرزينة والمعتدلة التى تحرص عليها، هل تشعر أنك ترفل فى ظل المبادئ الأخلاقية السوية؟، هل تغار حقاً على قيم كالحق والخير والجمال، والعدل والمساواة بين البشر وبين الرجل والمرأة؟، هل تمارس هذه القيم الأخلاقية مع نفسك فى عملك وفى علاقتك مع أسرتك فى بيتك؟، أتمنى ألا تكون أسيراً للازدواجية الأخلاقية وألا تزايد علينا باسم الأخلاق والدين والفضيلة.

يقول البهنساوى إننا لم نسمع عن رجل أو امرأة تدعى لأمها، وأقول للبهنساوى إن كنت لم تسمع عن ذلك فهذه مشكلتك أنت، إن كثير من بلدان أمريكا الجنوبية وافريقيا وبعض دول أوروبا يدعون بأسماء أمهاتهم، وفى التراث العربى الإسلامى نجد أسماء لأكثر من خمسة عشر من الرجال الذين كان لهم مكانتهم فى هذا المجتمع ينتسبون إلى أمهاتهم، أعتقد أنك قد سمعت عن ابن تيمية إنه ينتسب إلى جدته "تيمية"، وإن كنت تستشهد ببوش الذى ينسب إلى أبيه فأنا أود أن أهمس فى أذنك أن سباتيرو رئيس وزراء إسبانيا ينتسب إلى أمه، إن مقولة "الإنسان عدو لما يجهله" تنطبق على د. البهنساوى، فهو يزعم أن الانتساب إلى الأب هو من

الثوابت، إن الانتساب إلى الأب ليس إلا عادة من قبيل العادات والتقاليد الموروثة، وأنت تعرف أن العادات والتقاليد تتغير وتتبدل مع الزمن، فلماذا هذا التعصب والجمود العقلى والتمسح بالثوابت.

إن البهنساوى ليست لديه أى فكرة عن قضية المرأة فهو جاهل بأولياتها ومع ذلك فهو يدلى بدلوه فيما يجهله ولا يعرفه. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن لديه مفاهيم مشوشة عن الذكورة والأنوثة فهو يعتقد أن الذكورة تعنى الخشونة والأنوثة تعنى النعومة، وأن الذكورة هى غلبة الهرمونات الذكورية فى تكوين الرجل، والأنوثة هى زيادة الهرمونات الأنثوية، إن الذكورة التى تعنيها د. منى هى سيطرة الأفكار الذكورية والآراء المتخلفة التى تعشش فى عقل الرجل وتفرق بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات والوصاية على المرأة بحجة حمايتها لاعتقاد الرجل أنها ضعيفة ومن ثم امتلاكها واختزالها فى جسد يغطى ويعرى حسب مصلحة الرجل، لذلك فالدكتورة منى لا تكره الرجل بل تكره الأفكار البالية والمتخلفة فى رأسه.

إن موهبة سوء الفهم التى يمارسها البهنساوى أيضاً جعلته يدعى أن هذه دعوة للإبقاء على اسم الأم والتخلص من اسم الأب، لذلك نجده يقول "أسف على ذكر لقبك بحلمى ومن الآن سأدعوك بمنى نوال، كما سأدعو الرجال أبناء الرجال أحمد حكمت هانم، ومحمد بن عزيزة إن صادفتهم". ونحن نقول لك ليس عاراً أن تنتسب إلى اسم أمك واسم أبيك، وإن كانت هذه الفكرة لا تروقك، فهنيئاً لك باسم أبيك إذا كان مجرد ذكر اسم الأم سيسبب لك حرجا وخجلاً، أما نحن فسنسعد إذا دعيتنا بل ودعانا الناس بأسماء أمهاتنا فهذا مدعاة للفخر والشرف.

حفيدات حســن البنــا...
متسلقات سلالم الانتخابات

من الأمراض المزمنة التي يعاني منها من يطلقــون علــى أنفــسهم "النخبــة" الثقافية... الفكرية... وقادة التغيير، أنهم ينتقلون من النقيض، إلى النقيض، حــسب التغير في ميزان القوى السياسية مرة يمين، ومرة يسار... مرة إخوان مــسلمون، ومرة يرفعون لافتة المستقلين... مرة يمجدون أمريكا وإسرائيل، ومــرة يــشتمون أمريكا وإسرائيل... ومرة يمجدون المرأة المصرية، ومرة يشتمونها معتمدين على ظواهر الأمور وقشورها.

إن مصداقية الكاتب تصاب في الصميم حين يتأرجح هكذا، وحين تتعدد كتاباتــه في جميع المنابر المتناقضة، لقد أشيع عن د. "سعد الدين إبراهيم" أنه كاتب ليبرالي، فقد كان في وقت من الأوقات منحازا لقضية المرأة وتحرير النــساء المــصريات، وكان يخالف وينتقد الفكر الإسلامي المحافظ وتحجب النــساء، ويحــارب أنــصار الدولة الدينية.

ومع قناعاته هذه كان يكتب المقالات مدحا فــي الحــزب الــوطني وسياســاته وحكمته، وإنجازاته وقدرته على قيادة الأزمات، ثم رأيناه بعد ذلك يتخفف من بعض قناعاته هذه وأصبح ناقداً بشدة لجميع سياسات الحزب الحاكم، والمجلــس القــومي للمرأة الذي هو من إفرازات النظام، ويكتب قائلا عنه: "إنه مجلس الهوانم "هــوانم فرخندة" الذي فشل فشلاً ذريعا في تنمية قدرات النساء المصريات لأنه نشأ بقــرار جمهوري، والعمل النسائي الشعبي أو أي عمل سياسي حقيقي لا ينــشأ بقــرارات جمهورية.

الآن، يطل علينا سعد الدين إبراهيم، بما أسميه "النيولوك". الآن كتــب يمجــد الأخوات المسلمات، ويقول إنهن في انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥ أحضرن سلالم خشبية وتسلقن الأسوار المحيطة بمراكز الانتخابات، وهو يتغزل في عمل الإخوان المسلمين ويشيد بما يسميه الأداء الرفيع للإخوان المسلمين في الانتخابات الماضية. ويعتبر هؤلاء الأخوات المحجبات هن النساء المصريات المقتحمات اللائي يمــثلن الحركة النسائية الحقيقية، وليس هن هوانم المجلس القومي للمرأة وإن كن سافرات، فليس هن الكاتبات الليبراليات، اللائي وصفهن بأنهن "خائفات"... و"كسولات" وهي صفات تدخل من باب القذف وليس الرأي ويعاقب عليها القانون، هل يريد د. "سعد الدين إبراهيم" حقاً أن يقنعنا ويقنع نفسه أن تسلق الأخــوات المــسلمات للــسلالم وتخطي الأسوار كي يدلين بأصواتهن، هو نوع من المقاومة النابعة مــن ذواتهــن

الحرة وإرادتهن المستقلة؟ هل ينطلى هذا عليه؟ لا أعتقد ذلك!، بل لا ينطلى علينا أيضا.

إذاً لماذا هذا الحماس المبالغ فيه، لماذا هذا الزهو بتسلق السلالم والأسوار، والذى أسماه بـ "الأداء الرفيع للإخوان المسلمين"؟ هل يريد د. سعد تضليلنا أم تضليل نفسه! أم أنها محاولة لمغازلة الإخوان والأخوات المسلمات، التيار الذى قد يعتقد هو أنه بدأ يقترب من الإمساك بحبال السلطة. وإذا كانت مغازلة، فكان بإمكانه التغزل فى أصحاب الدولة الدينية، دون إسقاط التهم الملفقة، للنساء غير المحجبات اللائى هن ضد الدولة الدينية.

هل يريد د. سعد الدين إبراهيم، إقناعنا أنها صحوة نسائية وليست عملا تعبويا خطط له سلفا، للزج بالأخوات المسلمات واستخدامهن كأدوات، يحركها الزوج أو الأب أو الأخ بوحى من المرشد الإله، أو طاعة أوامر عليا من هيئة التنظيم الإخوانى، بغرض الاستحواذ على أكبر عدد من مقاعد البرلمان.

إن هذا ليس غريبا. فهذا المنطق الاستغلالى للنساء كأدوات كان شائعاً فى الأحداث السياسية فى أغلب الثورات والحروب فى أغلب دول العالم؟ ومع الانتصار تخرج النساء من اللعبة السياسية مهمشات خاسرات بسبب هيمنة المنطق الأبوى الذكورى.

ومع الإخوان المسلمين تأتى الخسارة مضاعفة، فحالة الطوارئ التهميشية والأحكام العرفية مفروضة عليهن فى حالتى الحرب والسلم. هل هى غيرة د. "سعد الدين إبراهيم" على حقوق الإنسان، وحقوق الأخوات المسلمات فى الإدلاء بآرائهن وأصواتهن بحرية، وفى إطار ديمقراطى يصب لصالح الإخوان المسلمين، للوصول إلى مقاعد الحكم والهيمنة على مقاليد السلطة من أجل تحقيق حلمهم فى إنشاء دولة دينية تحتكر اليقين والحقيقة المطلقة تحت التستر وراء الشريعة الإسلامية فتقطع الأطراف وتنصب المشانق وتبتر وتفصل الرؤوس عن الأجساد وتقطع ألسنة المعارضين وتهدر دماءهم بحجة الكفر والخروج عن ثوابت الدين وتصادر الكتب وتمنع الفنون وتتحول على أيديهم الحياة إلى جحيم.

هذا ما أرادت د. منى حلمى التعبير عنه فهى ليست "خائفة" كما يزعم د. "سعد الدين إبراهيم" فى مقالة ٢٠٠٥/١٢/١٧ بجريدة المصرى اليوم. إن الصفة الوحيدة التى لا يمكن أن توصف بها د. منى حلمى ممن يتابعون مقالاتها على مدى السنوات العديدة الماضية وحتى الآن هى الخوف بل على النقيض من ذلك فكلماتها كطلقات الرصاص تصوبها فى جرأة إلى الفساد والمفسدين. إن كلماتها كمشرط الجراح تكشف به عن الازدواجية فى الأخلاق والمعايير وتعرى المسلمات والقيم المنتشرة فى حياتنا.

إن د. "سعد الدين إبراهيم" يخلط بين أمور كثيرة فتحرير المرأة المصرية هو تحرير لعقلها أساسا ولنظرتها إلى نفسها كصاحبة عقل مستقل عن زوجها وأبيها

وأخيها، وهذا لم يحدث للأخوات المسلمات، إذ أن عقولهن ظلت سجينة مستعبدة تابعة لفكر الرجال من الإخوان المسلمين، بدليل أن المرأة الوحيدة التي رشحوها للبرلمان في ٢٠٠٥ كان برنامجها هو رؤية الإخوان المسلمين عن المرأة حيث الدعوة إلى عودتها للبيت وترك العمل للرجال. إن دورها الأساسي هو البيت كزوجة وأم، وطاعة الزوج وخدمة الأسرة، وأن استقلال المرأة فكرة أجنبية مستوردة واستعمارية غربية... وكل من يؤمن باستقلال النساء، كافر وضد الله ومتآمر ضد الإسلام، ولابد من هدر دمه، وتطبيق الحدود عليه.

إن تحرير المرأة عملية فكرية اجتماعية سياسية اقتصادية وثقافية للتحرر من القيم الطبقية الأبوية وليس مجرد تحريك عضلات الساقين لصعود سلم خشبي إلى حيث مركز الانتخاب، أو تخطي الأسوار حسب أوامر المرشد الذكر، لتوزيع منشورات "الإسلام هو الحل" أو "تكفير المجتمع".

لقد عبأ الإخوان المسلمين نساءهم المحجبات والمنقبات في هذه الانتخابات كما يعبئ بائع السردين أسماكه في العلب ويدفع بها إلى السوق الحرة.

إن الأخوات المسلمات قد تحولن إلى أدوات قام بتزييف عقولهن أحفاد حسن البنا وهن لا ينتمين إلى المقاومة النابعة من إرادتهن الحرة من قريب أو بعيد وليست لهن علاقة بقضية تحرير النساء، بل بقضية عزل وتغطية واغتيال النساء.

وفي الحقيقة هي ليست حتى قضيتهن، بل قضية الذكور الإخوان الذين يريدون فرض فهمهم الخاص للإسلام، لقد أصدر الإخوان كتابا أخيرا ألفه الشيخ الخطيب، الذي يقول فيه إن خوض الانتخابات جهاد وتكملة للدعوة لنقل الفكر الإخواني من الشعبية إلى الرسمية، وقد استعان في الكتاب بمقال نشره "حسن البنا" في مجلة الإخوان في ٤ نوفمبر ١٩٤٤ يدعو إلى ما أسميه "أخونة الحياة" إن الإخوان يستخدمون الديمقراطية وصناديق الانتخابات من أجل الوصول إلى الحكم وحينئذ يطبقون أبشع أشكال الديكتاتورية، وأعتقد أن ذلك لا يخفى على عقل د. "سعد الدين إبراهيم" فهل يريد أن يزج بنا نحو هذا النفق المظلم؟ ولصالح من؟؟

العلمانية صمام لأمن الوطن...
وشـــــرط للتقـــــدم

من الأخطاء الشائعة التى اعتاد عليها أغلب الناس أن العلمانية هى بالـضرورة ضد الدين، وهذا الفهم الشعبى السائد هو من يقف حجر عثرة ضد انتـشار الفكـر العلمانى، أما حقيقة الأمر فإن قيام نظام علمانى فى دولة ما يعنى أن تـسير كـل أمور الدولة بقوانين إنسانية نسبية وضعية قابلة للصواب والخطأ، وفى حالة الخطأ يقوم واضعو هذه القوانين بتعديلها لما فيه مصلحة كل مواطن ومواطنة من تحقيق للعدل والمساواة والحرية ويكون ذلك عن طريق الديمقراطية.

فإذا كانت الدولة دينها الإسلام فهذا لا يعوق العلمانية ولا يضير الإسـلام فـى شىء.

فالفكر العلمانى يرى أنه يجب الفصل بين دين الدولة والنظام السياسى، فالإسلام كدين يتصف بأنه مطلق ولا يجوز له الدخول فى السياسة التى تتصف بالنسبى، أما إذا دخل الدين فى السياسة فسوف يحدث تعارض منطقى وجوهرى، إذ كيف نطبق ما هو مطلق على ما هو نسبى متغير. وهذا ما أكده الدكتور مراد وهبة فى مؤتمر تأسيس العلمانية والذى تبنى شعار "التفكير فى النسبى بما هو نسبى وليس بما هـو مطلق" والذى أقيم فى الأربعاء الأول من مارس بمشاركة كل من حزب مصر الأم ومنتدى ابن رشد والجمعية المصرية للتنوير.

إن الدين كعقيدة مطلقة يصبح علاقة خاصة جداً بين الإنسان وربه والعلمانيـة تبقى نظاماً للقوانين الوضعية تتصف بالنسبية والتغير.

نحن هنا لا نتحدث عن ظاهرة جديدة أو بدعـة مـن البـدع، فأغلـب الـدول المتحضرة والمتقدمة قد أخذت بالنظام العلمانى، لقد سيطرت الكنيسة علـى الفكـر السياسى فى أوروبا لقرون عديدة فى ظل هذه السيطرة حيكت المؤامرات وانتـشر الظلم والفقر وفسدت الحياة السياسية وعمت الفوضى، هذا حدث حينمـا اختلطـت أوراق الدين بالسياسة ولم ينتشل أوروبا من هذه الفوضى إلا فـصل الـدين عـن الدولة.

إن أكثر الأمثلة التى تبرهن على التزاوج والتعايش بين الدين الإسلامى كعقيـدة وبين العلمانية كنظام للحكم هو تركيا، فهى دولة مسلمة أما دستورها فهو علمـانى وفى الفترة الأخيرة نجد أنها تتصدى وتدافع عن هذا النظام العلمانى بضراوة، تدافع عن كل ما ينال من هذا النظام ضد الأحداث الصغيرة قبل الكبيرة فقد رفعت اثنتان من المحجبات دعوى بسبب منعهما من دخول الامتحان وهما ترتـديان الحجـاب وحكم القضاء التركى بعدم أحقيتهما فى دعواهما لأن هذا يعـد انتهاكـا للدسـتور

العلمانى ويتعارض معه... أما هنا فى مصر فالمنقبات وليس المحجبات يرتدين هذا الزى الأسود ويعملن فى المصالح الحكومية والمؤسسات العامة ويقدن السيارة ويدخلن الجامعات ويؤدين امتحاناتهن ولا أحد يعترض، ولا يخفى على أحد أن هناك جرائم بشعة تحدث بسبب التخفى وراء هذا النقاب.

إن الفكر العلمانى هو الوحيد الذى يتكفل بحماية الإنسان من التعصب على أساس الدين والعرق والجنس والطائفة، أما من يستندون على المرجعية الدينية فهنا أرض خصبة ينتعش فيها التعصب وينفى الآخر المخالف فى الرأى وفى العقيدة.

ولنا أن نتأمل ما يحدث فى العراق الآن، حيث المرجعيات الدينية المختلفة والتى تلقى بالزيت على النار فتشتعل الحرائق وتشن حرب المساجد ويتساقط الضحايا بحجة الدفاع عن الدين، وتتزايد شلالات وبحور الدم التى يغرق فيها أهل البلد الواحد سنة وشيعة الكل يذبح بسكين واحدة، بلد واحد أصبح فيه التعصب ناراً تشتعل فى القلوب والعقول. كل صباح وكل مساء يتولد طوفان من الحقد والغل والضغينة من أجل الصراع على السلطة. الكل قد أصيب بالعمى لا يرى أى شيء إلا لون الدم وبقايا الأشلاء البشرية المتناثرة.

الدين الذى يفترض أنه يجمعهم قد فرقهم بل شتتهم إلى أحزاب متنافرة يصرع كل منهم الآخر على مذبح السياسة، والنتيجة الفادحة هى آلاف الضحايا. لقد أصبح العراق على شفا حرب أهلية سوف تحصد الأخضر واليابس وتدمر فى عبث كل مقومات الحياة.

وقد أرى مع البعض أن أمريكا وبريطانيا وراء الكثير من عوامل التفرقة هذه، ولكن هذا ليس مبرراً لأن ينساق المسلمون إلى التقاتل شيعة وسنة، فالعيب ليس فى الجهات الأجنبية المحرضة بقدر ما هو فى المسلمين الذين أصبحوا طعماً سائغاً وأوراقاً مكشوفة تقرأ بسهولة، وبنى هشة وضعيفة يسهل كسرها وهدمها بل وتحطيمها على محك المبدأ الميكافيللى "فرق تسد".

إن العلمانية هى صمام الأمن والأمان فهى التى تحول دون حدوث هذه الأحداث لأن هناك قانوناً يحكم الكل مسيحيين ومسلمين على اختلاف مشاربهم وطوائفهم فلا مجال للفتن الطائفية والاختلافات العرقية والجنسية.

إننا فى مصر إذا كنا نريد لهذا البلد أن يتخلص من الإرهاب باسم الدين وأن يتقدم بخطى واثقة نحو المستقبل فلا مناص إلا من الأخذ بالنظام العلمانى ولكى نخطو خطوات حقيقية فى هذا الاتجاه فلابد أن تمحى الديانة من البطاقة الشخصية والإبقاء فقط على الجنسية المصرية. فنحن نتساوى فى المواطنة مهما اختلفت عقائدنا مسيحية كانت أم مسلمة أم غير ذلك من المعتقدات الأخرى.

إن أغلب الناس عندما يدركون أن العلمانية ليست ضد معتقداتهم الدينية بل هى مع مصلحتهم وحريتهم فلن يرفضوها بل سيرحبون بها ولكن من يعارض الفكر العلمانى هم من يريدون أن يستخدموا الدين للوصول إلى السلطة وكرسى الحكم.

لقد حاولت الدولة الترويج للفكر الديني في وسائل الإعلام المختلفة على حساب الفكر العلماني الأمر الذى أفرز صنوفا من العنف الجسدى والفكرى عانى منها المصريون ومازلنا نعانى منها حتى الآن.

من هنا لابد أن تسلك الدولة بطريقة مغايرة لإبراز إيجابيات الفكر العلماني ولا يكفي الدور الذى سوف يقوم به الإعلام الرسمي بل يجب البحث عن آليات جديدة من خلالها يمكن تفعيل الفكر العلماني بحيث يدخل في النسيج الفكرى والثقافي للإنسان المصرى البسيط كإنشاء صحف ومطبوعات من أجل هذا الغرض، ويا حبذا لو تحمس بعض رجال الأعمال المستنيرين وقام بإنشاء قناة تليفزيونية تنشر هذا الفكر وذلك على غرار القنوات الدينية التي انتشرت في الأونة الأخيرة، وذلك بالإضافة إلى تنشيط وتفعيل المنظمات والجمعيات الأهلية المهتمة بهذا الغرض والترويج للمجتمع المدني. والتواجد بجانب الناس في وقت الأزمات والبحث عن حلول تخفف من معاناتهم المادية كالفقر والبطالة ومشكلات السكن، فإلى جانب التركيز على نشر الفكر العلماني، يجب التركيز أيضا على أقوات الناس حتى يصدقوا ويؤمنوا بما يقال، وهنا أتذكر مقولة غاندى الشهيرة "إذا كان الله يريد أن يؤمن به الناس في الهند فليظهر على شكل رغيف من الخبز".

إن حديث البعض عن إنشاء دولة دينية هو في حقيقة الأمر ليس إلا اجترارا للماضي الذى أثبتت كل التجارب فشله، فلا وقت لدينا للجدل العقيم والعالم من حولنا يقفز قفزات هائلة ومتسارعة نحو التقدم العلمي في شتى المجالات ونحن نجلس على قارعة التاريخ لا نمتلك غير الحناجر نتراشق بالكلمات وننثر دماء الذبائح البشرية ونلعن الغرب في كل صباح ومساء ونعلق عليه شماعة فشلنا وتخلفنا وتأخرنا.

مجمع الفقه الإسلامى و"زواج الفريند"

برغم السحابات المعتمة التى تحجب الضوء، وبرغم الفتاوى الظلامية التى يطلقها علينا رجال الدين من وقت لآخر، فتاوى تقوض الحياة لصالح الموت والفناء، وبرغم موجة الأسلمة الزائفة التى نالت من كل شىء فى حياتنا، وبرغم البيات العقلى الطويل وغياب النهار وانهزامه أمام الليل الأسود الحالك، وانطفاء الشمس وإعلانها التمرد على السطوع، برغم ذلك فإن الحياة تحتضن وتتشبث بخيوط الأمل علها تنسج منه ثوباً جديداً زاهى الألوان.

شئنا أم أبينا فإن التغير آت لا محالة ليغرق ويهدم بسيولة الأفكار الثابتة التى تدعى صلاحيتها لكل زمان ومكان، وما أحوجنا إلى تنويعات من التغير، والذى لا يكفى أن يكون ضيفا عابرا بل مقيماً ليهدم القديم وينشأ ويبنى الجديد.

ويبدو أن وطأة التغيرات أصبحت جارفة إلى الدرجة التى أصبح فيها رجال الدين فى مأزق حرج يجعلهم لا يسايرون العصر وتغيراته فى شتى مناحى الحياة.

وتحت هذه الوطأة أقر مجمع الفقه الإسلامى بمكة فى السعودية شكلاً عصرياً من أشكال الزواج وهو "زواج فريند" لمواجهة مشكلات الشباب والفتيات المتعلقة بالزواج.

لقد ولدت فكرة "زواج فريند" على يد الشيخ عبد الحميد الذندانى عام ٢٠٠٣ وهو رجل دين يمنى الجنسية، وكان يتعرض لظروف وأحوال المسلمين فى الغرب وخاصة تلك التى تواجه الشباب المسلم فى بيئة اجتماعية وثقافية تتناقض مع الكثير من العادات والقيم السائدة فى المجتمعات المسلمة.

واستناداً على قاعدة "التيسير" فى الفقه الإسلامى فـ "زواج فريند" وكما يرى الشيخ الذندانى هو شكل من أشكال الحماية للشباب من الجنسين فبدلاً من أن يتخذ كل منهما "بوى فريند" أو "جيرل فريند" فإن هذا النوع من الزواج يعد زواجاً شرعياً وهو يعنى أن يتزوج الفتى والفتاة دون أن يشترط امتلاكهما لمسكن خاص بهما، فالمسكن ليس شرطاً شرعياً فى الزواج، فما دام هناك عقد زواج صحيح يتمثل فى الإيجاب والقبول والشهود والولى والإشهار فلا حرج أن يعيش كل منهما فى بيت أبيه ويكون اللقاء بينهما فى أى مكان.

إن تيار العولمة قد اختزل الزمان والمكان فأصبحت المشكلات التى يعانى منها الشباب المسلم تكاد تكون واحدة فما يقترح تطبيقه على الشباب المسلم فى الغرب يمكن تطبيقه أيضاً على الشباب فى البلاد العربية والإسلامية.

إن وضع الشباب المسلم فى الغرب قد يكون أحسن حالاً من الشباب فى البلاد العربية والإسلامية، فالمشاكل المادية التى يعانى منها الشباب فى المجتمعات العربية والمسلمة تقف عائقا يحول بينه وبين فكرة الزواج حيث صعوبة الحصول على مسكن، وأزمة البطالة والعادات الاجتماعية الجامدة التى يتبناها الأهل كل هذه تعد معوقات تحول دون الزواج بشكله التقليدى السائد، ضف إلى ذلك ارتفاع سن الزواج وحالة الكبت الجنسى التى تتبدى للعيان من خلال نظرات الرجال التى تخترق أجساد النساء فى الشوارع والمواصلات، وحالات التحرش الجنسى والاغتصاب وحالات أخرى كثيرة سرية ومسكوت عنها.

لقد ارتفعت نسبة العنوسة ــ بالرغم من أنى لا أرتاح لهذه الكلمة ــ فى مصر إلى أكثر من تسعة ملايين من الفتيات، وفى السعودية تقدر بمليونى عانس، لقد أدرك رجال الدين فى مؤتمر مجمع الفقه الإسلامى مدى خطورة مشكلة الزواج فما كان منهم إلا أن يتبنوا هذا الرأى الذى طرحه الشيخ الذندانى منذ ثلاث سنوات تقريباً.

إن "زواج فريند" لا يكون فيه الشاب مسئولاً عن الإنفاق فكل من طرفى العلاقة يعيش فى بيت أبيه إلى حين الانتهاء من الدراسة أو الحصول على عمل وتحسن الأحوال المادية، وقتها يمكن الحصول على مسكن ويتحقق الاستقلال الاقتصادى عن الأهل، إن عدم مسئولية الزوج عن الإنفاق لا يعنى انتفاء المسئولية الأخلاقية عن هذا النوع من الزواج فقد يكتب له النجاح ويدوم.

إن نظرتنا إلى مفهوم الإنفاق يشوبها كثير من الخلل لذا يجب تعديلها، فإنفاق الزوج يقابله طاعة الزوجة التى تعد ثمناً لهذا الإنفاق، إن الزواج يمثل شركة أو مؤسسة اقتصادية كل من الزوج والزوجة يجب أن يسهم فيها حسب قدرته واستطاعته المادية، أما الإنفاق مقابل الطاعة فهو مبدأ يفتقد إلى الإنسانية، ومع ذلك، وفى أغلب الأحيان نجد أن المجتمعات الذكورية تؤيد الأفكار والقوانين التى تخدم الرجل وخاصة فى مسألة الإنفاق وهذا ما نراه فى زواج المسيار الذى ينتشر فى دول الخليج والذى فيه يتخفف الرجل من عبء الإنفاق، وأيضاً قانون الخلع الذى يسمح فيه بالانفصال بشرط أن تتخلى المرأة عن حقوقها المادية.

إن فكرة الذندانى والتى أقرها مجمع الفقه الإسلامى لم تسلم من النقد، فهناك من يؤيد الفكرة وهناك من يعارضها استناداً وكالعادة على الفقه الإسلامى.

من بين المؤيدين للفكرة الشيخ عبد المحسن العبيكان وهو رجل دين سعودى، حيث يرى أنه إذا توفرت شروط الزواج الصحيح فإنه يعد مقبولاً وصحيحاً بغض النظر عن كونه يتم تحت سقف منزل واحد يجمع الأسرة أو لا يتم، والمرأة بإمكانها التنازل عن حقها فى المبيت والنفقة مادامت تستطيع أن تلبث إلى جانب أبيها وأسرتها، ولكن يشترط الزواج ألا يكون مؤقتاً ولا بنية الطلاق.

أما د. سليمان عبد الله الماجد القاضى فى محكمة الإحساء بالسعودية يرى أن فكرة الشيخ الذندانى ستكون بمثابة فتح فى علاج مشكلة كبيرة وهى تجاوز تكاليف الزواج قدرة الشباب والفتيات، وصورة الزواج جائزة شرعا ولا تحمل أى محظور شرعى.

ويؤيد فكرة "زواج فريند" الشيخ على أبو الحسن رئيس لجنة الفتوى السابق فى الأزهر.

أما المعارضون فهم يتمسكون بصيغة الزواج التقليدى السائد ويشترطون المسكن لكى يتم الزواج، ومنهم المفتى السابق الشيخ نصر فريد واصل وغيره من بعض المشتغلين بالدين.

إن الكثير لن يروقهم فكرة هذا الزواج فالعادات والتقاليد القابعة فى عقولهم تأبى أن تتقبل أى فكرة جديدة، إن الإنسان يخاف من التغيير ويخشى الجديد من الأفكار لذلك فهو لا يغير أفكاره ومعتقداته بسهولة، وبالرغم من صعوبة ذلك إلا أن الأفكار الجديدة تتسلل إلى عقله شيئا فشيئا، فالفكرة الجديدة كما يرى وليم جيمس عالم النفس والفيلسوف البرجماتى يرفضها العقل لأول وهلة، ثم بعد وقت تتجاور الفكرة الجديدة بجانب القديمة فى العقل، ثم شيئاً فشيئا تزحزح الفكرة الجديدة تلك القديمة وتطردها من العقل وتحل مكانها.

إن توصيف وليم جيمس يصدق على أمور كثيرة فى حياتنا فهناك أفكار جديدة حلت فى عقولنا مكان تلك القديمة مثل ضرر الختان، وتعليم المرأة وعملها، كل هذه الأمور كان العقل يرفضها ولكن مع مرور الوقت بدأ يؤمن بأهميتها وجدواها.

إنه بالرغم من عدم إيمانى بالتغير الذى يأتى عن طريق رجال الدين إلا أن فكرة "زواج فريند" تعد خطوة متواضعة فى طريق حل مشكلة الزواج للشباب والفتيات المسلمات، ولكنها ليست حلا جذرياً لمشكلات الشباب والفتيات فى سن المراهقة وقبل مرحلة الزواج، أيضا هى محاولة للتغلب على مشكلات الزواج للشباب والفتيات المسلمات فقط. إن العدالة تقتضى أنه عندما نفكر فى الحلول يجب أن تكون المواطنة هى المحك والمعيار الذى نستند عليه، فهى المظلة التى نستظل بها جميعا.

مروجو الفتاوى واحتلال الإسلام الشكلى الأفغانى لمسلمى مصر

يشكل الدين للإنسان احتياجاً نفسياً مهماً فعن طريقه يستطيع أن يواجه صعوبات الحياة ويتآلف مع طلاسمها التى تحيره وتؤرقه إذا أطلق لعقله العنان بالتفكير فيها.
ويعد التدين من أهم صفات الشخصية المصرية فالدين راسخ ومتجذر فى عقل الإنسان المصرى ووجدانه، ومحاولة تأمل هذا الملمح ليس بالشىء الصعب، لأننا نجد ذلك واضحاً فى سلوكياته اليومية من ناحية، وفى مظهره من ناحية أخرى، فالغالبية تحرص على أداء الفروض الإسلامية الخمسة وخاصة الصلاة، وصلاة الجماعة بشكل خاص، وقد زاد هذا الحرص بعد بناء وانتشار الجوامع والمساجد فى جميع الأحياء وخاصة الشعبية والفقيرة منها، هذا بالإضافة إلى الحرص على أداء مناسك الحج لأكثر من مرة، وأداء العمرة مرات ومرات.
إن من يتأمل أحوال المصريين هذه الأيام يلاحظ أن هناك مبالغة شديدة فى النظرة إلى الدين، فهناك نبرة عالية ومتشنجة فى الخطاب الدينى، وغياب للمنطق الموضوعى فى الحوار أو النقاش، واتجاه لتحويل أى شىء فى حياتنا وتفسيره تفسيراً دينياً، ومن ثم انتشار الإرهاب الفكرى الدينى، فالويل لكل من يتبنى وجهة نظر مخالفة، فقد يصل الأمر إلى وصمه بالكفر والخروج عن الدين.
وهذه الصفات نجدها واضحة فى الشخصية المصرية المسلمة، يتساوى فى ذلك من حصل على أعلى الشهادات العلمية والأمى الذى لا يعرف القراءة والكتابة، بل إن هناك ما هو أفدح من ذلك، فقد نجد بعضاً ممن يتقلدون مناصب مهمة كرؤساء الأقسام العلمية فى الجامعات هم أيضاً يقعون أسرى لهذا التفكير وخاصة بالنسبة لمن يتبنون ذلك الاتجاه الذى يربط بين العلم والدين، فهؤلاء لديهم ازدواجية فكرية، فهم من جانب يتحرون الدقة والموضوعية والمنهج العلمى حينما يتحدثون فى العلم ونظرياته، ثم نجدهم من جانب آخر بعيدين عن هذه الصفات، وخاصة حينما يقومون بالبحث عن علاقة يربطون بها بين العلم والدين، فالكوارث الطبيعية كالعواصف والزلازل مثلاً تعد غضباً من الله على الأشرار من البشر غير المسلمين، والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: وماذا عن الكوارث التى حصدت الأرواح وشردت الناس فى بلاد تدين بالإسلام كايران وتركيا ومصر وأخيرا باكستان؟! هنا نجد أن منطقهم يصاب بالاعوجاج والقصور والضعف.
وفى هذا المناخ نجد ملمحاً آخر يسود حياتنا الدينية والمتمثل فى هوجة الفتاوى من كل صنف ونوع، التى يحدد لنا فيها الشيوخ وغير الشيوخ كيف نسلك وكيف،

نسير وكيف ندعو وكيف ننام ونأكل ونشرب، إنهم يفتون فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا.

لقد أصبح الإنسان المصرى المسلم أرضا خصبة يبذرون فيها فتاواهم ويتركونها تنمو وتترعرع مخلفة وراءها إنسانا ضيق الأفق جامدا متعصباً، يرى الدين فى الطقوس الشكلية والفرعية وحسب.

ونموذج ذلك أحد عمداء الكليات الأزهرية، والذى يرى أنه لا يكفى أن نتعبد مع حلول هلال رمضان، بل يجب الاستعداد والبدء فى التعبد قبله بأيام وأسابيع فنستعد بالمسبحة دائما فى اليد، والمصحف فى الجيب، ويقترح أن تحدث منافسة بين المسلمين على من يتم القرآن أولا وقبل الآخرين، ويجب على المسلم والمسلمة ألا يتركوا المصاحف من أيديهم سواء فى البيت أو العمل أو الشارع أو وسائل المواصلات، دائماً المسبحة فى يد والمصحف فى اليد الأخرى، ويمكن للمسلم أن يختم القرآن مرة أو مرتين أو ثلاث حسب ما يستطيع، ففى هذا زيادة لأجره عند الله، ويجب على المسلمين حينما يتناقشون يكون موضوع النقاش حول الأيات القرآنية، ولا مكان لأى نوع من الموضوعات يخرج عن دائرة القرآن والأحاديث والتسبيح الدائم، فكل تصرفات الإنسان المسلم وأقواله يجب أن تصطبغ بالصبغة الدينية.

ولا أحد يعترض على قراءة القران والتسبيح من حين لآخر، إلا أن هذا الكلام الذى طرحه الشيخ الأزهرى وأستاذ الجامعة يتسم بالمبالغة الشديدة والتى سوف تنتج عنها مشكلات كثيرة فماذا عن الشخص الذى يعمل ويقوم بالتسبيح طوال الوقت إنه حتماً سيكون عرضة للوقوع فى الأخطاء نتيجة عدم التركيز فيما يعمل، وقد تقع بعض الحوادث إذا كان يعمل عملاً يدويا خطراً، أو قد يهمل الشخص عمله بحجة التعبد فيصلى مرة أو مرتين فى عمله وذلك مضيعة للوقت، ومن يعترض على هذا السلوك ينتفض الشخص متشنجا مدعيا منعه من الصلاة، وهنا يتناسى ما نردده كثيراً من أن العمل عبادة.

لقد انتشرت المظاهر الدينية الشكلية بين المسلمين والمسلمات فى البلاد الإسلامية، ومنها مصر التى أصبحت تعج بالمنقبات اللاتى يتشحن بالسواد، وأصحاب اللحى الطويلة من الرجال، لقد حكت لى إحدى السيدات من غير المحجبات أو المنقبات أن هناك سيدات منقبات يصعدن إلى مترو الأنفاق ويعطين المواعظ والوصايا الدينية، ويطلبن من الراكبات أن يرددن وراءهن دعاء الركوب، ويمتلئ المترو بالملصقات التى تهدد النساء على وجه الخصوص بالعقاب فى الآخرة على ترك الصلاة، أو عدم ارتداء الحجاب أو النقاب.

هذا يحدث فى مصر ولا أحد من المسئولين يحرك ساكنا، لقد تحولت وسائل المواصلات فى الشارع المصرى إلى بؤر إسلامية متعصبة، لقد تم احتلالنا بالدين

الإسلامى الشكلى القادم من أفغانستان ودول الخليج، وما الفتاوى التى تحاصرنا إلا تعبير عن هذا الشكل من الإسلام.

إننى لست مندهشا على تردى أحوالنا فى شتى مناحى الحياة، فمن أين نجد الوقت لكى نبدع ونخترع، لقد أعلنت جوائز نوبل فى الطب والفيزياء والعلوم، وليس بينها اسم عربى مسلم واحداً، إن هذا يعد إفرازا طبيعيا لحياتنا فلا شىء فيها يعلى من قيمة التفكير ويقدر قيمة العقل الناقد والمبدع، لن نتحرك خطوة إلى الأمام، إلى فضاء المستقبل ما دمنا نغرق فى مثل هذه الفتاوى الدينية التى تحرص على الكسل والخمول وتعادى الحاضر والمستقبل، لقد أصبح العقل العربى الإسلامى مقعدا كسيحا بسبب طريقة التفكير البالية ونتيجة تعاطيه لهذه الفتاوى التى جعلته يغط فى سبات عميق.

لليورانيوم مُخصبون
وبالنساء مُتربصون

كأنه أصبح طقساً يومياً يفرض نفسه فرضاً، على نشرات الأخبار، وصفحات الجرائد، المحلية والعالمية. أصبح ملازماً "لطقوسنا الصباحية"، تتوارى بجانبه أخبار القتل اليومية، فى العراق وفلسطين، والفتنة ومصادمات العجز، عن تقبل الآخر فى أحداث كنائس الإسكندرية. تلك المدينة الجميلة التى تعودت أن تلقى فى البحر، من آن لآخر بحماقات البشر وبنزعات التعصب، والحقد وتغتسل بأمواجه التى تحمل روح التآخى والتسامح. الحدث الأكبر على الساحة السياسية الآن، هو نجاح إيران فى تخصيب اليورانيوم الأمر الذى قد يمهد لصنع وامتلاك القنبلة النووية.

لقد تحدت إيران صلف أمريكا، تلك القوة الوحيدة التى تهيمن وتسيطر على عالمنا الآن. تلك القوة التى تعبث بمقدرات وأرواح وأقوات أغلب دول العالم. وقفت إيران فى وجه الدول الكبرى فى أوروبا وأبت أن تتراجع، لقد تبنت إيران سياسة المد والجزر، لكى تحقق ما تصبو إليه من امتلاك القدرة النووية. فكانت تهادن تارة، وتارة أخرى تضرب بعرض الحائط التهديدات الدولية فلا تأبه بها وتطلق التصريحات غير المتوقعة، وغير المسبوقة فى قضايا عديدة مثل: "ليس على إسرائيل التوطن فى أى بلد عربى"، أو "إسرائيل الغاصبة غير قابلة للحياة" أو بالنسبة إلى قضية اليورانيوم "لا تراجع فى تخصيب اليورانيوم"... "انتهى عهد الخوف من أمريكا".

وبرغم التلويح بضربة عسكرية محتملة، إلا أن إيران أخيراً فعلتها، لم تتراجع كانت تسعى نحو الهدف غير عابئة بهذا الخطر وبهذه الضربة العسكرية. إن حماس أحمدى نجاد الرئيس الإيرانى ونظامه جعله، يسرع الخطى بل يهرول، لامتلاك هذه القدرة النووية، لقد تبنى النظام الإيرانى، الموقف الذى انتهجته تجربة كوريا الشمالية فى تخصيب اليورانيوم، وهى المسألة التى تبناها النظام الدينى الإيرانى كمسألة حياة، أو موت. وهى مسألة سوف تنقل "العدوى النووية" للدول المجاورة، خاصة أن إيران اعتزمت الخروج من اتفاقية الحظر النووى.

إن كثيراً من المثقفين المصريين منبهرون ومعجبون بالإنجاز الذى حققته إيران لتخصيب اليورانيوم، وهذه حقاً خطوة تعد إنجازاً كبيراً. وأنا أتساءل هل هذا الانبهار وهذا الإعجاب سببه الموقف الإيرانى، الذى تحدى الصلف الأمريكى والدول الأوروبية المعارضة لحيازة إيران لهذه التقنية؟، هل هذا الانبهار وهذا الإعجاب مرجعه إلى أن إيران دولة مسلمة فبوصولها إلى هذه التقنية فقد أنابت عن

الدول الإسلامية فى إثبات الوجود والقوة بينما الدول الإسلامية تعانى من عقدة النقص وحالة العقم المزمن عن الإنجاز فى كل شىء وخاصة فى مجال العلم؟، هل لأن إيران نجحت فى تخصيب اليورانيوم بينما مصر تعثرت وفشلت فى امتلاك هذه التقنية؟ إننى أفهم ذلك الإعجاب، وهذا الانبهار، بتخصيب اليورانيوم، طالما أن غالبية المثقفين العرب، يرسخون عن عمد، أو سهو، للمرجعيات الدينية، ويعانون من أحادية التفكير، وممتلئون بالثقافة الذكورية حتى النخاع، ولا يهمهم إلا التطور التكنولوجى، وتحديث الأسلحة، وقشور القوة الذكورية... وليس القوة الإنسانية، المؤسسة على سيادة الحريات للجميع، ونسف التفرقة الدينية... والتخلص من ميراث وأد النساء وهن أحياء. إن أصغر، وأفقر دولة مدنية (ليست دينية) تقوم على الفصل بين الدين والدولة، وإن تعثرت وفشلت فى كل الأشياء، لهى أكثر رقياً، وإنسانياً، وتحضراً، من إيران، أو أى دولة دينية.

إن اعتقاد البعض أن تخصيب إيران لليورانيوم، سيمكنها من امتلاك قنبلة نووية إسلامية تجعلها قادرة على الردع والدفاع عن الإسلام والدول الإسلامية خاصة فى مواجهة إسرائيل، لوهم، وقصور فى الرؤية. ومثال ذلك باكستان، فامتلاكها للسلاح النووى لم تنتفع به الدول الإسلامية بقدر ما هو فى الأساس، يعد سلاحا للردع ضد جارتها الهند. وهكذا سيكون السلاح النووى فى حال امتلاك إيران له، أداة فقط فى خدمة المشروع "الدينى الأمنى" الإيرانى فحسب، بل إن امتلاك إيران للقنبلة النووية سيدعم الوجود الأمريكى فى الخليج العربى، بحجة الدفاع عن هذه الدول أمام الخطر النووى الإيرانى، كما حدث مع صدام حسين حيث، مبرر تواجدها فى المنطقة حتى الآن.

لقد نجحت إيران فى "تخصيب اليورانيوم" ولكنها فشلت فى "تخصيب الحريات" وجعلها عقيمة، على اعتبار أنها دولة دينية، فالنظام الإيرانى يقوم على أساس دينى، وشأن الدولة الدينية فى التاريخ نجد أنها، تتبنى الرأى الواحد ولا يسمح النظام بالتعددية السياسية فهو نظام قمعى، ديكتاتورى، وإن تشدق بالديمقراطية وبنزاهة الانتخابات التى أتت بهم إلى السلطة. فالديمقراطية ليست انتخابات وحسب. إن هناك زعامات قد جاءت إلى السلطة عن طريق الانتخابات ومع ذلك جرت شعوبها إلى الهاوية كما حدث فى ألمانيا على يد هتلر. إن لإيران سجلاً حافلا فى قمع الحريات وخاصة حرية النساء، وإن قامت بتخصيب كل الأشياء التى لا تُخصب.

إن النظام الإيرانى يتربص بالنساء ويجعل من نفسه وصيا عليهن، إنه نظام ينتهك حرياتهن باسم الوصاية الدينية. ويبدو أن الحكم الدينى الإيرانى، يؤمن أن النجاح فى التقنيات الحديثة، لا يتم إلا على حساب جثث النساء.

منذ عدة أيام صرح نائب المدعى العام محمود سالاركيا أن النساء غير الملتزمات بالزى الإسلامى سيواجهن أحكاماً بالسجن لمدة عشرة أيام أو دفع غرامة تتراوح بين (٦٠ إلى ٣٦٠ دولارا).

وقال المتحدث باسم القضاء "جمال كريمى راد" إن عدم الالتزام بالحجاب يعد جنحة وينص قانون الجمهورية الإسلامية على وجوب أن ترتدى المرأة إما التشادور الذى يغطى الجسد من الرأس حتى القدمين، وإما أن تضع المرأة منديلا مع سروال ومعطف طويل يغطى الجسد.

لقد نزل يوم السبت الماضى ٢٠٠٦/٤/٢٢ نحو ٥٠ فريقا للتفتيش على مدى الالتزام بالزى الإسلامى فى شوارع العاصمة الإيرانية طهران، وحذرت الشرطة بأنها ستتصدى للنساء اللائى يرتدين سترات ضيقة أو غطاء رأس غير محكم أو لا يرتدين جوارب أو يصطحبن حيوانات أليفة فى الشوارع والحدائق العامة.

وستكتفى تلك الفرق بتوجيه تحذير للمخالفات فى المرة الأولى، لكنها ستتصدى لهن بعد ذلك إذا لم يلتزمن بقواعد الزى الإسلامى.

ولأن النظام الدينى منافق، ومتقلب، ويتحالف مع أى أفكار وتيارات، لكسب مشروعية الحكم الدينى، نقرأ خبرا مناقضا، يقول إن الرئيس الإيرانى، لن يفرض الحجاب على النساء، وأنه حسب اختيار المرأة... ولن يتم فرضه بقوة البوليس، وسوف يُسمح للنساء الإيرانيات دخول الملاعب الرياضية بعد حرمان طويل منذ ١٩٧٩ (ثورة الخمينى).

إن هذا التذبذب والتناقضات المتتالية، حول المسموح للمرأة الإيرانية، والمحظور عليها، أقوى دليل على أن النظام الإيرانى (لكسب المزيد من التأييد) يلعب بورقة حقوق وحريات النساء. مجرد تكتيك انتهازى سياسى مؤقت، لصالح صنع القنبلة النووية، وليس تغيراً جذريا فى نظرة الدولة الدينية للنساء، والدولة الدينية لها ثوابت مقدسة، أساسها وأد النساء.

هذه السادية المفرطة فى قمع الأنظمة الدينية للنساء، هل هى عدوانية ذكورية أم كراهية أم فوبيا أم رغبة مريضة فى امتلاك المرأة، كامتلاكهم للأشياء وبراميل النفط؟ أو كما قلت، ورقة رابحة يعلنون عنها، إذا احتاجها الحكم الدينى ضد الكفار؟

إن التسلط على مقدرات النساء حتى فى الملبس، لهو من سمات الهوس الدينى لأنظمة الدول الدينية ومنها إيران. لقد بلغ التحكم فى النساء إلى درجة منع ظهور اللونين الأحمر والأبيض فى ملابسهن.

لماذا لا يخاف الساسة الإيرانيون من "أمريكا" ويخافون من ظهور "خصلة شعر" فى رأس امرأة؟ هل ظهور خصلة من شعر امرأة سيقوض دعائم النظام؟ هل عدم ارتداء المرأة للجوارب أو اصطحابها لحيوان أليف (قطة أو كلب) سيهدم دولة نووية كإيران رأسا على عقب؟! هل شعر النساء أقوى من أمريكا؟ يقولون إن المرأة هى الجنس الضعيف، الشيطانى، المدنس، المشكوك فى صلاحياته، ولكن اتضح أن إيران تصمد أمام أمريكا، وتنهار أمام امرأة، ضعيفة سافرة.

إن مفهوم التقدم ومعنى الوطن، غائب عند كثير من المثقفين. فهم ينبهرون ويعجبون بتقدم إيران فى تخصيب اليورانيوم، ويتغافلون عن تدهور واختفاء

الحريات، وأساسها حرية النساء، فى نظام دينى ديكتاتورى وقمعى. إنهم يؤمنـون بما أحب تسميته بـ "التقدم الذكورى المتأخر".

لقد قرأنا عن التعاون بين نجاد، وبين الإرهابى عماد مغنية، حيث يدخره نجـاد فى حالة الرد على هجوم أمريكا.

إن تجزئة كثير من المثقفين للمعرفة والحقائق وتبنيهم للمنهج الانتقائى، يجعلهم يخلطون الأوراق، فتكون النتيجة هى الوصول إلى نتائج خاطئة. لقد كتـب أحـد الكتاب المنبهرون بتخصيب إيران لليورانيوم أن "حذاء" نجاد الرئيس الإيرانى عنده أفضل من الأمريكان، هكذا يعمم ويصدر الأحكام. إن التجربة الإيرانية بالرغم من توصلها إلى الطاقة النووية لا تدعو للانبهار والإعجاب، بل تدعو للرثاء والحزن، فهى أولاً وأخيراً تمثل دولة، دينية، عنصرية، يغيب عنها المفردات الأولية للأساس الديمقراطى، وتفزع وترهب، وتسجن النساء... نصف البـشرية... وهـى تهـدر الملايين لتحدى أمريكا، لا لتحدى الفقر.

إن النساء يشكلن نصف المجتمعات، ومع ذلك يهمـشون ويقمعـون وتـصادر حرياتهن ابتداء من المشاركة السياسية وانتهاء بالزى والملبس. وخاصة فى دولـة دينية كإيران. لقد تظاهرت النساء الإيرانيات فى الثامن من مارس ٢٠٠٦، وكانت المتظاهرات فى طهران يحملن لافتات كتب عليها "النساء يطلبن الحرية والمساواة"، و"كفى فرض الرقابة". وقامت قوات الأمن بمهاجمـة النـساء، وضـربهن، بكـل شراسة، وأصيب عدد غير قليل من النساء.

إن "حرية النساء"، ليست فقط جزءً عضوياً من "حرية الوطن". بل هى المقياس الأول، الأساسى، الحقيقى، التقدمى لحرية الأوطان. لكن الفكر الذكورى الدينى، لا يهمه النساء كبشر، إنه يعمل لمزيد من توسيع الخلافة والمزيد من الإرهاب الدينى، والمزيد من دموية التفاعل مع الآخر داخلياً وخارجياً.

لن تقوم وتستمر دولة دينية، تتعامل مع النساء بالبوليس، والمخبـرين، وثقافـة التجسس، وإن خصّب العالم بأسره، ما تحتاجه إيران، ليس قنبلة "نووية"... ولكـن قنبلة "فكرية"، تطهرها من الحكم الدينى، وطموح التوسـع الإسـلامى العـالمى، وازدراء النساء... أتعجب كثيراً من احتفال النظام الدينى، بامتلاك "طاقة نوويـة"، بينما هو، كل يوم يضرب أهم وأرقى "طاقة إنسانية" فى الحياة، "كرامة النساء"!!!! وإن أعلن تصريحات براقة، عن منح المرأة الحريات الخاصة، والعامة.

بعد فتاوى مقاطعة الدانمارك والنرويج "أمركة" العالم أو أسلمة العالم... مَنْ الضحية؟!

لم أكن أعلم، أن هناك منظمة اسمها "الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين" يرأسها يوسف القرضاوى، ومقرها القاهرة.

هل هو تقصير من شَخْصى المتواضع؟ أم أن "الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين"، مثل جميع أو غالبية المنظمات، والجمعيات، والمراكز، والمجالس، والهيئات، والتجمعات، والرابطات، التى انتشرت محلياً، وعالمياً، فى الربع قرن الأخير، وألصقت لافتة الإسلام، وليس لها أنشطة حقيقية، تخدم أحوال المسلمين وتنتشلهم من الفقر... والتعصب... والمرض... والفتاوى السلفية المتناقضة... والموروثات التى تكره النساء، وتمقت الحرية، وتخاف من البهجة، والاختلاط بين الجنسين، ولا يشغلها التقدم الإنسانى، والاكتشافات العلمية... والإبداعات، والفنون، وبالتالى لا أكون مُلاماً فى عدم معرفتى، بهذا "الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين". طبعاً عندى تساؤلات عن هذا الاتحاد... أين تم إشهاره؟ عند أى جهة صدرت رخصة تأسيسه؟ من أين التمويل؟ والعلماء... علماء فى إيه؟ لكن نؤجل هذا مؤقتاً.

أخيراً شاء القدر، ألا يطول جهلى، وسمعت عن وجود "الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين". فقد أفتى يوسف القرضاوى ـ المتحدث الرسمى والشرعى الوحيد لحاضر الإسلام ومستقبله، هكذا يرى نفسه ـ "فتوى" قرضاوية، تمثل رأى الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين، وتصبح مُلزمة لجميع البلاد الإسلامية... والفتوى هى "مقاطعة جميع البضائع الدانماركية والنرويجية، وقطع الصلات والعلاقات بين كل أراضى المسلمين، وهاتين الدولتين. بالمناسبة، لقد شاركت مصر كل دول العالم، الاحتفال بأديب النرويج العظيم "هنريك إبسن"، فى ذكرى رحيله المئوية (١٨٢٨ ـ ١٩٠٦).

وهدف الفتوى القرضاوية، هو "معاقبة" الدانمارك، لسماحها لصحيفة "جيلاندز بوستن" بنشر رسوم كاريكاتيرية، من رأيه تُعتبر إساءة لنبى الإسلام... وأيضاً "معاقبة" النرويج لأن إحدى صحفها "ماجازينت" فعلت الشىء نفسه.

وما فعلته تلك الصحيفتان، أثار غضب البلاد الإسلامية، والمسلمين، فى كل مكان. مثلاً حركة الجهاد الإسلامى الفلسطينية، أعلنت ضرورة الرد الرادع. وفى بلاد عربية تظاهر المسلمين أمام القنصلية الدانماركية، والنرويجية. وفى موريتانا، يطالبون باعتذار وقطع الصلات وتهديدات ضد الإساءة. وفى السعودية، تم طرد

السفير الدانماركى، ووقف الواردات من الدانمارك... وقالت السعودية إن المقاطعة الاقتصادية سوف تتسبب فى خسارة الدانمارك ٢ مليار و٢٠٠ مليون ريال... وبذلك تصيبها فى مقتل.

وقد حاول سفير الدانمارك فى السعودية، إقناع الناس أن الحكومة الدانماركية، تحترم الإسلام، والمسلمين وكل العقائد والأديان، ولكن الحكومة لا تتدخل فى الصحف. ففى الدانمارك مثل كل الدول الأوروبية التى تقدمت، الحكومة لا تستطيع انتهاك سياسة أى صحيفة، أو توجيهها إلى أى مسار. وهذا لسبب بسيط، هو أن الصحف عندهم لا تتبع الحكومة. ولذلك فالحكومة ليس من حقها الاعتذار. والمختص فى هذه الحالة هو القضاء الدانماركى المستقل، وليس الحكومة. لكن كل هذا التوضيح ذهب عبثا، لأن بلاد المسلمين لا تعرف أنظمة فيها مثل هذه الحريات.

المسلمون مصرون على تغيير أنظمة الدول غير الإسلامية، لماذا؟ لماذا لا يغيرون أنفسهم؟ وكأن المسلمين يقولون: "لابد أن تعلم دول العالم العلمانية، أن هناك من يراقبها، حتى يشكمها عند اللزوم".

وهكذا عرفت، أنه يوجد شيء اسمه، "الاتحاد الدولى لعلماء المسلمين" يرأسه القرضاوى، ومقره القاهرة. وهكذا تأكدت من القضايا التى "يتحمق" فيها المسلمون.

إن اخر ما انتهت إليه، هذه القضية، هو ما قرأناه فى الصحف منذ يومين. فقد أجرى استطلاع بين الشعب الدانماركى (حيث أن الدانمارك من البلاد التى تحترم اراء مواطنيها وتضعها أولوية) بخصوص ضرورة الاعتذار عن سلوك الصحيفة، أو عدم ضرورة الاعتذار وجاءت النتيجة أن ٩٧% ترى أنه، لا توجد ضرورة للاعتذار، حيث أن الاعتذار سواء جاء على لسان المسئول عن صحيفة "جيلاندز بوستن" أو جاء على لسان رئيس الوزراء أنديرس فوج راسموسين، فهو يُعتبر انتهاكا سافراً لحرية الصحافة الراسخة فى الدانمارك، وأيضا يُعتبر تدخلاً فى سياسة الصحيفة، وانتقاصا من استقلالها، وحقها المكفول دستوريا فى حرية التعبير، كما تشاء، وكما يكفل توضيح رأيها فى أى قضية تتناولها، أو وجهة نظرها عن أى من البشر الأموات منهم، والأحياء... فالدانمارك مثل كل الدول المتقدمة، لا تعرف شيئاً اسمه "مقدس"، إلا الحرية، ولذلك تقدمت. لقد كسرت كل المحرمات والحدود، لإعلاء حرية البشر. لقد جاءت فتوى مقاطعة البضائع الدانماركية، قبل إجراء الاستطلاع وظهور نتيجته. والان، بعد أن اتضح عدم ضرورة الاعتذار من جانب أغلبية الشعب الدانماركى (٧٩%) لأسباب تتعلق بالمسيرة الحضارية لهذا الشعب، ومعاييره وفهمه لحرية الصحافة، تكون الفتوى مضادة لإرادة شعب اختار نظاما محدداً يتبعه، وليس لأحد تحت أى لافتة، أو بأى اسم، أو صفة، إجباره على فعل ما يفسد اختياره... وتقاليده. إننى أتساءل، كل يوم يشتم المسلمون الدول الغربية بانعدام الفضيلة، والانحلال، وفسق النساء، ويتهمونها أفظع التهم مثل التآمر ضد

الإسلام، وإباحة الشذوذ الجنسي، والمخدرات، وانتهاك كل الفضائل، والعرف في كل أنواع الرذائل، وأنهم السبب فى تخلف المسلمين. رغم كل هذه الاتهامات الباطلة في رأيي، لم يصرخ أحد من الغرب، يطالب المسلمون وحكوماتهم بالاعتذار، أو يهدد بقطع العلاقات. هم يعملون... ويكتشفون... ويبدعون، ويتقدمون... ويتركون المسلمين يشتمون ويهددون.

ان جميع المراكز، والمنظمات، والملتقيات الإسلامية، التى تتلقى تمويلا لا ندرى مصادره، لكنها لا تفعل شيئا لتحويل المسلمين من شعوب وبلاد فى آخر قائمة الدول المتقدمة فى أى مجال حضارى، إلى شعوب وبلاد تأخذ بالعلم، وإقامة الحريات، وإحداث الديمقراطية، وتحقيق عدالة المواطنة، والاعتراف أن الدين لله، والوطن للجميع، ولا إكراه فى الدين، ونبذ تسيس الأديان للحكم.

الشيء الوحيد الذى تتخصص فيه، تلك الآلاف المؤلفة من التجمعات الإسلامية، من أمريكا حتى استراليا، والذى كان الدافع الحقيقى لإنشائها، هو إشاعة المزيد من مناخ عدم التسامح، والتعصب الدينى ضد الأفراد وضد الدول العلمانية، وإشعال نار التفرقة الدينية "بالتربص"، بأى لمحة، أو قول، أو سلوك، لا يُرضى مزاج وثقافة، ومصالح مؤسسى وأعضاء تلك الجماعات، وبث مناخا إرهابيا يقرر عقاب ومحاكمة، ومقاطعة كل مَنْ له، رؤية مختلفة، تعرقل الهدف الحقيقى، وتخفى سلبية المسلمين، إلا فى القشور والتوافه.

كل حين وآخر، نسمع عن منظمة إسلامية هنا، أو هناك، تصرخ... وتدعو إلى انعقاد طارئ لإقرار عقاب لازدراء الدين أو ازدراء المسلمين، صدر من فرد، أو جماعة، أو دولة. أعتقد لم نسمع أن أى منظمة إسلامية، فعلت شيئا له قيمة، لفضح التجارة بالدين، أو كيف تقل أو تزيد الفوارق بين الطبقات، أو موّلت مشروعات لتدعيم البحث العلمى، أو تمويل القرى الإسلامية ـ وما أكثرها ـ التى تفتقد كل أشكال الحياة الكريمة، أو صرف فلوس لتحسين العشوائيات، وإنقاذ آلاف البشر الساكنين فى المقابر بجانب الأموات، أو دفعت أتعاب محامين، للتحقيق فى إهمال الأطباء وتعويض الضحايا، أو أقامت حملات مكثفة مستمرة لجمع أطفال الشوارع المسلمين، المشردين، لإعادة تأهيلهم وتقديم كل الرعاية والتعليم لهم، أو أعلنت صرخة دولية إسلامية لحظر الضوضاء المنبعثة من ميكرفونات الجوامع.

لم نسمع عن مركز إسلامى، يصدر بيانات محلية، أو دولية للاحتجاج على المعاملات المتدنية التى تلقاها النساء المسلمات على أيدى الرجال المسلمين، أو كتب منشورا يوزع على جميع وسائل الإعلام فى البلاد الإسلامية، للهجوم على رجل يغتصب أو يقتل، أو يضرب أو يذبح امرأة، أو يتحرش بها جنسيا، أو زوج يمارس الخيانة الزوجية، أو زوج يُجبر زوجته على إشباع غريزته (حقه الشرعى)، أو زوج طرد زوجته بعد عشرين سنة، تحملت "قرفه"، وتزوج واحدة فى عمر أحفاده.

لا نسمع إلا تكفير الكُتّاب، والمخرجين والشعراء، وفتـاوى بمـصادرة كتـب وروايات، وأفلام، وأشرطة، ومؤامرات الغرب الكافر المنحل للنيل مـن الإسـلام والمسلمين. ولا يفور دم أصحاب التجمعات الإسلامية، إلا إذا ظهرت خصلة مـن شَعْر امرأة. لكن كل الكوارث والجرائم بفعل المـسلمين، والمـصائب، وأسـباب التخلف المتوطنة فى بلاد الإسلام والمسلمين، يلتزمون الصمت، أو يختفون تماماً، أو يقولون "هذه ثقافتنا".

رأيى الشخصى، أن كل المراكز أو التجمعات الإسلامية، فى الداخل أو الخارج، إنما تنمى مشاعر التفرقة على أساس الدين، وتفسد العلاقات بين الـدول، وتـسبب الحزازيات بين الشعوب، وترسخ الإعلام كشكل متعـصب، وطقـوس وعنتريـة حنجرية، وتقوى شوكة الإرهاب الدينى، وترسخ من آليات شغل التيارات الـسلفية التى تفتى وتشجب وتحرض، وتكفر، ثم تقتل، وتمهد لقيام دول دينية. وهذا هو بيت القصيد. وليس صدفة انتشار التجمعات الإسلامية بشكل مريب فى كل العالم. تلـك التجمعات، وكل التيارات الإسلامية التى ترفع راية الجهاد بكل أشكاله ودرجاتـه، تتهم أمريكا بإقرار نظام "العولمة" ويقولون أمريكا تريد "أمركة" "العالم"، ولعب دور "الشرطى العالمى"... وينسون أو يضحكون علينا... لأنهـم يريـدون لعـب دور "الشرطى العالمى"... ويريدون عولمة دينية.. أى "أسلمة العـالم"... مـثلهم مثـل أمريكا بالضبط، وإن اختلفت التسمية.

وما بين "الأمركة" و"الأسلمة"، يقع ملايين الضحايا كل يوم، فى كل مكان... ما بين "الأمركة"، و"الأسلمة"، يا وطنى لا تحزن!

للزوجـــات فقـــط...
نصائح منتهية الصلاحية

ليس التطور الحضارى يقاس بتحقيق الإنسان للمنجزات العلمية على اختلافهـا وحسب، بل يقاس بمعايير أخرى من أهمها نظرة المجتمع للمرأة ومكانتها.

ونحن فى المجتمعات العربية، حيث الكثرة المسلمة مازلنا ننظر إلى المرأة نظرة متدنية، فهى مخلوق من الدرجة الثانية، وتفتقد إلى العقل وتميل فى أحكامهـا إلـى العاطفة، ذلك رغم ادعاءات البعض أنها مساوية للرجل.

إن هذه النظرة إلى المرأة هى السائدة والرائجة بين الرجال والنساء علـى حـد سواء، والسبب فى ذلك يرجع فى رأيى إلى أسباب تاريخية واجتماعية مستمدة من العادات والتقاليد، ذلك بالإضافة إلى ظرف نعيشه الآن ولا يجب إغفاله وهو انتشار الأفكار المستمدة من التيارات الأصولية والرجعية الإسلامية التى ترسـم صـورة للمرأة من نسج خيالها المريض مدعية أنها مستمدة من الدين الإسلامى الصحيح.

إن النظرة للمرأة على أنها أدنى من الرجل لهى من المسلمات التى ظلت جاسمة على العقل العربى منذ قرون.

إن خطورة مثل هذه المسلمات تكمن فى أنها تمثل قيداً للفكر، فتعـوق انطلاقـه وتحبسه وتسجنه فى أفكار انتهت صلاحيتها ولا يستطيع الفكاك منها، حيـث إنـه يعتقد اعتقاداً راسخاً فى صحتها وصوابها.

إن خير مثال لما سبق هو ما قرأته حديثاً فى إحدى الصحف اليومية، ففى داخل أحد مكاتب التسوية بمحكمة الأسرة بمقر محكمة شمال الجيزة، علقت لافتة كبيـرة كتبها أعضاء المكتب بعنوان "نصائح لكل زوجة لتحقيق السعادة الزوجية فى بيتها"! والشيء اللافت للنظر فى هذه النصائح أنها موجهة للمرأة دون الرجل.

إن من وضع هذه النصائح يرى ويفترض أن الزوجة هى السبب الرئيسى فـى إثارة المشكلات الزوجية، فهى كائن مشاكس وعنيد، أما الزوج فهو كالحمل المسالم الوديع، لذا تعاملت معه هذه النصائح وكأنه طفل مدلل يجب على الزوجة تلبية كل احتياجاته متى أراد ذلك.

إن هذه النصائح الموجهة للزوجة تضع الرجل فى مكانة عليا، فهو نائب الإلـه على الأرض، فطاعته واجبة، ورغباته أوامر لا يمكن مناقشتها، بل واجب الزوجة تنفيذ هذه الأوامر فى الحال بما فى ذلك رغباته وشهواته الجنسية، فالزوجـة مـا عليها إلا الطاعة لكى تفوز بالجنة التى وعدت بها عند طاعتها لزوجها.

إحدى نصائح هذه القائمة ــ والتى تشتمل على أربعة عشر نصيحة ــ تقـول: تقديم حق الزوج على جميع الحقوق بعد حق الله عز وجل. فعن عائشة رضـى الله

عنها قالت: سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: أمه. وبعيداً عن إشكالية الأحاديث الدينية من حيث رؤية البعض أن هذا الحديث يعد من الأحاديث الضعيفة وغير الموثوق به، أو أنه حديث قوى يجب الأخذ به، أو كما يرى تيار عريض من المفكرية الدينيين وهم "القرآنيون الذين يستمدون تفسيراتهم من القرآن فقط" عدم الأخذ بالأحاديث عامة ومنها هذا الحديث، وخاصة أنها جمعت ودونت بعد موت الرسول بمائتى عام.

إننا لو حاولنا تأمل مفهوم الطاعة نجد أنه قد استمد من الموروث الذكورى الذى يكرس لعلاقة السيطرة والتملك، ففى الاقتصاد يحاول صاحب العمل السيطرة على كل من يعمل لديه، وفى السياسة يسيطر الحاكم الديكتاتور الفرد على مقدرات الناس، ويعتبرهم عبيداً يجب عليهم طاعة أوامره، أما فى العلاقات الزوجية فمفهوم الطاعة يعبر عن علاقة مريضة بين أعلى، وهو الزوج وأدنى، وهى الزوجة حيث يتسيد طرف على طرف اخر لمجرد أنه ينفق، وهذا من شأنه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على العلاقة بكاملها، ففى هذه العلاقة يفترض أن تشيع روح السكينة والرحمة، أما فى ظل هذا المفهوم فتتبخر هذه السكينة وتتلاشى تلك الرحمة.

إن العلاقة السوية فى الحياة الزوجية يجب أن ينتفى فيها مفهوم الطاعة حتى يصبح الزوج وزوجته أندادا كل منهما له رأيه واستقلاليته وحريته التى تطلق العنان لذاته المتفردة.

إننى سوف أشير هنا الى أهم النصائح التى تضمنتها هذه اللائحة وهى: أن تتقى الزوجة الله فى زوجها، أى أن تؤدى واجبها بدون تقصير، وبنفس راضية، وألا تخرج من البيت إلا بإذنه، ومهمتها الأساسية الاهتمام بشئون البيت والعناية به نظيفاً منظما، واستشعار المسئولية فى حسن تربية الأبناء، والاستجابة للزوج إذا دعاها للفراش.

لقد اختزلت هذه النصائح الزوجة فى وظيفة التنظيف وولادة الأطفال وتربيتهم، وإشباع وإطفاء رغبات الزوج وشهواته الجنسية، وعاملت هذه النصائح الزوجة على أنها خادمة ومربية أطفال، وموضوعا جنسيا يطفئ رغبات الزوج ويشبع غرائزه، لقد كرست هذه النصائح للنظرة التقليدية التى سيطرت على عقولنا فى الماضى، وأغفلت الدور الجديد للمرأة الذى كان ثمرة كفاحها ونضالها ــ عبر السنين ــ ضد هذه الموروثات البالية.

لقد أغفلت هذه اللجنة المتغيرات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت، فى عالم دائم التغير يطبع ملامحه على الإنسان رجلاً كان أو امرأة. لقد تجاهلت هذه النصائح الحالة النفسية للمرأة، فهى مغلوبة على أمرها مسلوبة الإرادة، حتى فى أكثر العلاقات حميمية فليس من صلاحيتها الاعتراض، فهى جسد أو قطعة من اللحم تتلقى أوامر ورغبات الزوج وهى صاغرة وخاضعة، فالرغبة هى للزوج يحدد الوقت الذى يراه وما عليها إلا تسليمه جسدها دون اعتراض وإلا اعتبرت

زوجة غير صالحة لأنها وقفت حائلاً ضد تحقيق رغبته، فيكون مصيرها حينئذ غضبا من الزوج وعقابا من الله.

لقد أثبتت الأبحاث العلمية والنفسية والاجتماعية أن سلوكيات كل من المرأة والرجل هى نتاج لأساليب التربية والبيئة، أى أنها مكتسبة وليست غريزية فطرية يولد بها الإنسان. إذن لا شيء هناك بالطبيعة، وعبارة سيموند بفوار "المرأة لا تولد امرأة، ولكنها تصبح امرأة" تشير إلى هذا المعنى.

إننى لست مندهشاً من وضع عضوات مكتب التسوية هذا لأسمائهن فى نهاية اللافتة التى تحتوى على هذه النصائح، وهن ينتمين إلى جنس النساء فمن المفترض موافقتهن عليها. إن خطورة قضية المرأة تكمن فى تبنى النساء لهذه الأفكار الذكورية البالية أكثر من الرجال أنفسهم، فهن أكثر تعصبا للمفاهيم الذكورية من الرجال. فالمرأة هنا تقف فى صف من يقهرها، إنها مخدرة بسبب التفسيرات الدينية المتطرفة والمغلوطة والمسلمات البالية والأفكار الموروثة، فتعتقد أنها على صواب وهى فى الحقيقة تدافع دون أن تدرى عن الأفكار التى تقهرها وتضطهدها وتحط من قدرها.

ألم يحن الوقت للتخلص من هذه الأفكار والمسلمات التى تفرق بين الرجال والنساء! ألم يحن الوقت لنفيق من تلك الإغماءة الطويلة التى تعوق حركتنا وتمنعنا من اللحاق بالأفكار الجديدة فى عالم يلهث نحو التقدم بخطا سريعة لن ترحم من يتخلف عنها وإلا سيكون مصيره ليس أحسن حالاً من الكائنات المنقرضة.

سيـــدة ليبيريـــا الحديديـــة والنموذج الإسلامى للمرأة

ليبيريا الدولة الأفريقية التى تنتمى إلى العالم الثالث بكل آفاته ومــشكلاته، قــد انحازت بأغلب مواطنيها رجالاً ونساء إلى اختيار امرأة توصــف بأنهــا حديديــة لتقودهم نحو المستقبل، هذه المرأة هى "إلين جونسون" التى انتخبت ولأول مرة فى أفريقيا قاطبة لمنصب رئيس الجمهورية. والمشكلة الراهنة التــى تواجههــا "إلــين جونسون" هى اتهام منافسها وخصمها "چورچ وايا" بالتزوير فى الجولة الانتخابيــة الثانية للإعادة، والتى بها تم فرز ٩١% من أصوات الناخبين وتبين تفوقها الكاسح والكبير، لقد ادعى "چورچ وايا" وأنصاره بحدوث عمليات تزوير واســعة شــابت العملية الانتخابية على الرغم من تقارير لجان المراقبــة الدوليــة التــى وصــفت الانتخابات بالشفافية والنزاهة.

وهذا الاتهام ليس بجديد نظراً للميراث التاريخى الذى يوصف بعدم المــصداقية والتشكك وعدم الشفافية التى يتم فيها إجراء الانتخابات فى عالمنا الثالث، بل حتــى فى بعض الدول المتقدمة، التى يتحول فيها الخصوم إلى أعداء ينعــت كــل مــنهم الطرف الآخر بأبشع الصفات ويكيل له الاتهامات سواء بالحق أو بالباطل، ولكــن على الجانب الآخر نلاحظ فى كثير من الدول المتقدمة والتى تتحرى الدقة والنزاهة نجد الطرف الخاسر يهنئ الطرف الذى حقق انتصاراً فى العملية الانتخابيــة دون حقد أو حساسية.

لقد تغلبت هذه المرأة على أكثر من عشرين منافساً من الرجــال كــان آخــرهم "چورچ وايا" لاعب كرة القدم السابق الذى نال شهرة كبيرة فى عالم كرة القدم. لــم ينحز الليبيريون إلى خصوم إلين جونسون من الرجال، ولم ينبهروا بشهرة "چورچ وايا" بل فضلوا عليهم جميعاً امرأة مخضرمة لها تجــارب فــى عــالم الــسياسة، وتوسموا فيها القدرة على تــسيير الأمــور والقــضايا الــسياسية والاقتــصادرية والاجتماعية.

لقد تجاوزت ليبيريا وهى الدولة الأفريقية والتى تنتمى إلى العالم الثالث الفقيــر ذلك اللغط الدائم الذى يثار عند العرب والغالبية المسلمة عن أحقيــة المــرأة فــى ترشيحها لمنصب رئيسة الجمهورية.

إن الإسلاميين سواء كانوا وسطاً أو متطرفين ومعهم الغالبية العظمى من الناس يرفضون تولى المرأة لهذا المنصب، ولم يشذ عنهم إلا شيخ الأزهر فقد أفتى بجواز تولى المرأة لهذا المنصب، ولكنه رفض توليها لمنصب شيخ الأزهر، أما المفتــى "على جمعة" فقد رفض توليها لهذا بسبب طبيعتها الفسيولوچية، وما تعانيه طــوال

فترة الحيض، ويشارك المفتى هذا الرأى الأغلبية من الرجال والنساء فى مجتمعنا الإسلامى، لقد تقلدت المرأة هذا المنصب فى بلاد إسلامية عديدة وغير إسلامية ولم يأخذن قرارات طائشة تجلب الخراب على بلدانهن، أكثر من الرجال الذين لا يأتيهم الحيض وقادوا بلادهم نحو الخراب والدمار.

إن الإخوان المسلمون يرفضون أيضاً تولى المرأة لهذا المنصب، ومع ذلك فهم ليسوا ضد أن تترشح لعضوية مجلس الشعب طالما انها تتبنى أفكارهم وتوجهاتهم، وعلى ذلك فقد رشحوا امرأة واحدة لتخوض هذه الانتخابات، وأود أن أشير هنا لتصور مرشحة الإخوان لدور المرأة وعلاقتها بالرجل والتى ضمنته فى برنامجها الانتخابى، فهى ترى أن المرأة قد خلقت من أجل تربية الأطفال لتصبح أما صالحة، وهى ضد فكرة المساواة بين الرجل والمرأة لأنها فكرة مستوردة من الغرب، زيادة على أنها ضد الطبيعة، وهى تعارض خروج المرأة إلى العمل، وترى أن قوامة الرجل هى الضمانة لبناء مجتمع مسلم يتسق مع الفطرة والطبيعة، ولأن المرأة تتصف بالانفعالية ونقصان العقل فقد كلف الرجل بتولى كل الأعباء المالية والإنفاق، وامتلاك العصمة وحق التطليق. وهى تعلن أنها إذا تخطت هذه الانتخابات ستتبنى الحالات التى يسيئ فيها الرجل حق سلطته فى القوامة، وسوف تدعو إلى تعليم الشباب والشابات، وهى تؤمن بحق المرأة فى ممارسة الحياة السياسية دون تمييز، وهنا أتساءل فقط إذا ما أرادت المرأة أن تمارس حقها السياسى ثم رفض الزوج ذلك فماذا ستفعل فى هذه الحالة؟!

إن هذا التصور وهذه الرؤية التى تطرحها مرشحة الإخوان من شأنها إعاقة مسيرة المرأة وفقدانها لحريتها وسلبها إرادتها بحجة القوامة والاستناد إلى الشريعة الإسلامية.

أين نحن من النموذج الليبيرى للمرأة، وأين نحن من صورة المرأة لدى الشعب الليبيرى، لقد سبقتنا كثير من دول العالم الثالث وتجاوزت نظرتنا إلى أطروحات ومتغيرات العالم من حولنا.

إن الفرق بيننا وبينهم أنهم قد تخلصوا من الأفكار الثابتة التى مازلنا نتشبث بها وتعشش وتسكن فى رؤوسنا رافضين أن تزحزحها أو تهزها رياح التغيير التى سوف تجتاح كل من يتمسك بالأفكار التى تقف ضد التقدم وتعوق آليات التطور.

تحرير الدين من سجن الكهنة

من الحقائق التى عرف بها الإسلام، إنه لا يعترف بـ "الكهانة" فالعلاقة بين الإنسان وربه، علاقة مباشرة، ليس بها واسطة، والمسلم عندما يحاسب فهو مسئول مسئولية مطلقة عن أفعاله، ولهذا السبب اعتنق الإسلام كثيرون ممن ينتسبون إلى الأديان الأخرى، ومع ذلك فمنذ أكثر من ربع قرن قد تسلل إلى حياتنا "كهنة جدد" يدعون أنهم متخصصون فى الدين، أخذوا يروجون لفتاوى يخلعون عليها هالة من التقديس، من خلالها تدخلوا واقتحموا حياتنا فى كل كبيرة وصغيرة، فهناك الفتاوى التى تحدد لنا كيف نأكل، كيف نشرب، كيف ننام، كيف ندخل الحمام وغيرها.

إن المتأمل لهذا المناخ الدينى الذى نعيشه يشعر بأن هؤلاء "الكهنة الجدد" وكأنما يؤسسون لدين جديد لم نعرفه من قبل، لقد نصبوا أنفسهم أوصياء على عقول الناس، وفى هذا استهانة بقدرة الناس على التمييز بين الخطأ والصواب، بين ما ينفعهم وما يضرهم، وجعلوا من أنفسهم "وكلاء" لله على الأرض، فراحوا ينظرون، ويفتون كما يشاؤون حسب ثقافتهم وأمزجتهم ومصالحهم الخاصة، إنهم يروجون لاتجاه واحد فى التفكير فهم على حق وغيرهم على باطل، إن هذا "التفكير الأحادى" يعد بيئة خصبة للتعصب والعنف والإرهاب الجسدى والمعنوى، ونفى الآخر، وإضاعة روح التسامح بين البشر.

لقد أصبح هؤلاء ممن يروجون للفتاوى المختلفة يشكلون نوعا من "الكهنوت" الجاسم فوق صدورنا، العازل بين الناس وبين دينهم، لقد أصبحوا واسطة بين الإنسان وربه، وهم بذلك قد أضاعوا تلك "الميزة" التى يتميز بها الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى، وهى العلاقة المباشرة بين الإنسان وربه، هم بذلك يفسدون أعظم ميزة للإسلام، ويسيئون إلى صورته وجوهره الحقيقى، ويؤلفون "إسلاما كهنوتيا" خاصا بهم والإسلام منه برىء.

إننا لا نصادر أفكار هؤلاء، فمن حقهم أن يدرسوا الدين، ويتفقهوا، ويتبصروا، ويغوصوا فى مسائله المختلفة كما يشاؤون، ولكن شأنهم فى ذلك شأن من يدرس ويتعمق فى القضايا الفكرية والعلمية المختلفة، والتى تخضع للنقد والتحليل وعليهم أن يتقبلوا هذا النقد بصدر رحب وامتنان، أما أن يفرضوا علينا أفكارهم وتفسيراتهم وفتاواهم، فهذا ما نرفضه، لأن ذلك فتح علينا باب جهنم، فالمختلف معهم يوصم بالكفر، ويوصف بالخروج عن الدين، ويكون عرضة لدعاوى الحسبة والتفريق وغيرها، هذا لمجرد أن إنسانا قد أعمل عقله بطريقة مختلفة ومغايرة للطريقة التى فكروا بها.

إن نتيجة هذه الفتاوى المتضاربة هى المزيد من الاضطراب والبلبلة، والإرهاب باسم الدين، وهروب العقول وهجرتها إلى بلاد ليس فيها هذا التعصب الدينى، هذا

"الكهنوت" الذى ابتدعه هؤلاء الرجال يرفضه الإسلام ويدينه، إن الشخص الذى يلتبس عليه أمر من الأمور الدينية، ما عليه إلا أن يجتهد بنفسه، ويعمل عقله، ويثق فى قدراته على التمييز بين الصواب والخطأ، بين الحلال وبين الحرام.

إننا نتحدث كثيراً عن تحرير الوطن، وتحرير الاقتصاد، وتحرير المرأة، ولقد آن الأوان لنتحدث عن "تحرير الدين" من سجن كهنة الدين، الذين يستخدمونه فى تفسيراتهم وتأويلاتهم.

لقد وقع الدين فى الأسر، إنه يحتج، إنه يصرخ ويحتاج لمن يحرره من فتاوى، الكهنة، التى تتسم بالجمود الفكرى والعقائدى، وتستلهم الماضى لتنقب وتبحث فيه عن حلول لمشكلات الحاضر، إن منهجهم فى التفكير قد عفى عليه الزمن، لأنهم يتغاضون أو يتغافلون عن حقيقة واضحة، وهى أن العالم من حولنا يتغير، والحياة تتغير، وكل شىء أصبح فى حراك دائم ولهاث نحو المستقبل، إنهم يواجهون العالم بخطاب دينى يؤكد ويثبت أننا خير أمة أخرجت للناس، والحقيقة أننا أصبحنا أمة تقع فى ذيل الأمم، إنهم يواجهون العالم بتفسيراتهم التى تصف المرأة "تصف المجتمع" بالعورة، ويضيعون كل أوقاتهم لتغطيتها وسترها، هل نواجه العالم، بنساء كل شغلهن الشاغل ستر مفاتنهن التى تقلب الدنيا، وتجلب المفسدة! هل نواجه العالم بالأدعية، منذ يقظتنا فى الصباح وحتى نومنا فى المساء؟ هل نواجه العالم بأن نصب جام غضبنا على غيرنا من الذين يختلفون عنا فى عقيدتهم، وأفكارهم، وندعو عليهم بالهلاك والموت؟

ماذا أنتم فاعلون بنا أيها "الكهنة"؟ إننا نطلب منكم، ونرجوكم إن تحدثتم فلابد أن تعرفوا لغة هذا العصر وأدواته وآلياته، لابد أن تدركوا وتعرفوا أن الإسلام الذى تتحدثون باسمه ليس فيه كهنوت أو وصاية على الناس. كيف تقولون إن الإسلام "دين العقل" وأنتم تلغون عقول الملايين من المسلمين، بأى حق تكفرون وتصادرون، وتعتمون علينا الحياة، وتغتصبون عقولنا؟ أيها الكهنة، أطلقوا سراح الدين، واتركوا الخلق للخالق، واصمتوا كى نستطيع أن نتنفس.

الكبت الجنســـــى
وفشل مؤسسة الزواج

ما أحوجنا الآن إلى ثورة اجتماعية جذرية تنسف أغلب المسلمات والعادات والتقاليد والأفكار التى يؤمن بها الغالبية من الناس. فحياتنا مليئة بالمشكلات والأزمات التى تحاصرنا منذ الميلاد وحتى الموت، مشكلات ليست عويصة على الحل ولكن ظهورها وتضخيمها واستفحالها مرجعه أولاً وأخيراً إلى طريقتنا فى التفكير وأساليبنا الجامدة فى التعامل مع هذه المشكلات.

ومشكلة الزواج من المشكلات التى تؤرق الأهل والشباب من الجنسين، ومن يتأمل دوافع الزواج فى مجتمعنا يجد أنها دوافع غير سوية ناتجة عن الحرمان والكبت الجنسى وانعدام الحرية، ففى دراسة أجريت بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تبين أن الدافع الأول للزواج لدى الشاب هو الرغبة الجنسية، أما الفتاة فدافعها الأول للزواج هو محاولة الهروب والتخلص من سيطرة الأب أو الأخ الأكبر أو الأصغر ثم يلى بعد ذلك الرغبة الجنسية، ومع انتقال الفتاة إلى بيت الزوجية تكون قد استبدلت سيطرة الأب بسيطرة الزوج الذى يحاصرها ويحاسبها على كل خطوة تخطوها فلا تتحرك إلا بإذنه وبعد موافقته. أما فى الجنس فغالباً ما يصيبها الإحباط مثلها مثل الزوج.

إن الزواج يتم تحت إلحاح الضغط والحرمان الجنسى فإذا أشبعت هذه الرغبة نجد أن بريق الجنس بعد الزواج يخبو ويتوارى وينطفئ فبعد الظمأ الشديد يحدث نوع من التخمة الجنسية وتتحول العملية الجنسية إلى شىء اعتيادى يتم بشكل روتينى ممل حتى تصبح واجباً ثقيلاً وقد تصبح عبئاً يتملص منه أحد الطرفين أو كلاهما معاً بحجة التعب والإرهاق. وهنا تغيب "البهارات الجنسية" الدهشة والغرابة والاشتهاء والترقب والاشتياق، حينئذ يشعر الزوج بالكبت الجنسى ومن ثم يبدأ فى البحث عن هذه الأشياء خارج الزواج، ومن هنا تكون الخيانات الزوجية والازدواجية الأخلاقية.

إن الكبت الجنسى يمثل ظاهرة عامة تكبل الأجساد وتقيدها ويتساوى فى ذلك المتزوج والعازب على حد سواء. فالكبت الجنسى الشديد قد يؤدى إلى خلل واضطراب فى الشخصية فهو يعوق تطورها حيث المبالغة فى أحلام اليقظة واستنزاف الوقت، وقد يدفع الكبت الجنسى البعض إلى ارتكاب أبشع الجرائم ومنها الاغتصاب.

إن للكبت الجنسى كثير من الأضرار على صحة الإنسان الجسدية والنفسية والتى لا يتسع المجال هنا إلى حصرها.

إننا نلاحظ فعل الكبت الجنسى على وجوه أغلب الرجال ممن يجوبون الشوارع فنجد العيون تفترس المارة من النساء وخاصة الشابات منهن فى تبجح تارة وفى استحياء تارة أخرى، أما فى وسائل المواصلات فحدث ولا حرج.

إننا إذا أردنا أن نتأمل فعل الكبت الجنسى من ناحية، والكمون والإحباط الجنسى من ناحية أخرى، فلنا أن نتأمل وجوه تلك الحالتين الأولى لحبيبين أو غير حبيبين فى حالة الخطوبة، والثانية لزوجين، ففى الحالة الأولى تلمح البريق يسكن العيون، بريق مشحون باللهفة والرغبة المتأججة فى احتواء الأخر جسديا، كل منهما يتلصص للمس الاخر بمناسبة وبدون مناسبة وبشكل مبالغ فيه، وفى بعض الأحيان قد يدخلان فى حالة من الانجراف العاطفى والجنسى حتى ليبدو الأمر وكأنهما قد انفصلا عن غيرهم فى المكان وخاصة فى سائل المواصلات العامة، إنه شكل من أشكال الكبت الجنسى الشديد الذى ليس له متنفساً إلا الشكل الشرعى للزواج. أما فى حالة الزواج فنجد أن الزوجين كل منهما يتحاشى أن ينظر فى عين الأخر، نظراتهما متعبة وزائغة بل ميتة، تلمح على ملامحهما شيء من الانكسار وخيبة الأمل.

إن استمرار الزواج ليس دليلا على نجاحه فمؤسسة الزواج فى مصر ينخر بداخلها السوس وهناك من يفضل جحيم الاستمرار فى هذه المؤسسة عن أن يجلد اجتماعيا بحجة عدم هدم البيت وتشريد الأطفال والهروب من الإدانات الاجتماعية والنظرة المتدنية للمرأة المطلقة فتفضل الاستمرار والبقاء لتتجرع الذل مقابل الإنفاق عليها هى وأولادها، إن مثل هذه الحالات ليست إلا نوعا من الطلاق الصامت.

لقد ارتفع معدل الطلاق فى مصر، فلقد قرأت إحصائية صادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء أن هناك حالة طلاق كل ٦ دقائق تحدث فى مصر، وأن هناك ٦٠٥٤٨ حالة طلاق، فى القاهرة فقط توجد منها ٨٩٨٥ حالة.

إن تزايد معدل الطلاق فى مصر يشير إلى مدى التفكك فى الأسرة المصرية، الأمر الذى يجعلنا نرجح أن دوافع الزواج ليست سوية، ومن هنا لابد أن نعيد صياغة أفكارنا بما يتوافق مع احتياجاتنا ورغباتنا الحقيقية، فلا يجب أن نسلك كالنعام وندفن رؤوسنا فى الرمال بل يجب أن نواجه أنفسنا بصراحة ووضوح وبدون "لف أو دوران".

وهنا أريد أن أتساءل هل الحل الإسلامى وهو الصوم فى حالة عدم توفر القدرة المادية يحمى الشباب والشابات من الممارسة الجنسية؟ هل يستطيع كل منهما مع ارتفاع سن الزواج إلى الثلاثين أو الأربعين عاماً أن يظل كل منهما بلا علاقة جنسية؟!

إن الزواج حسب الشريعة الإسلامية يقوم فى أساسه على مبدأ الطاعة مقابل الإنفاق، فالزوجة واجب عليها طاعة الزوج، حتى فى أكثر الحالات خصوصية

وهى العلاقة الجنسية. والطاعة فى حقيقة الأمر ليست فضيلة كما يظن البعض بل هى رذيلة كبرى من مخلفات الميراث العبودى، فالسيد يأمر والعبد فضيلته الطاعة، وفى الأنظمة الديكتاتورية المبدأ المهيمن هو الطاعة، وصاحب العمل هو الذى يصدر الأوامر ومن لم يطيعها من العمال يكون جزاؤه العقاب أو الاستبعاد. إذاً فمبدأ الطاعة غير إنسانى لأنه يسود فقط بين أعلى وأدنى، وهنا إذا أردنا أن نطبق هذا المبدأ فى علاقة الزواج فستفسد العلاقة لأنها ستبنى على التسلط والهيمنة والتسيد من جانب الزوج فتغيب السكينة والهدوء والرحمة.

إن معوقات الزواج والتى تؤدى إلى فشله فى أغلب الأحيان تتمثل فى الصورة التى استدمجها كل من الشاب والشابة كل منهما عن الأخر فأصبحت تمثل إلى حد كبير قناعتهما الراسخة نتيجة أسلوب التربية الخاطئة المغلوطة والمشوشة التى تربى عليها كل منهما، والتى تفسد العلاقة بينهما وخاصة فى عملية الزواج. فالشاب ينظر إلى الفتاة على أنها خلقت لهدف واحد هو أن تصبح زوجة وأما تلد الأطفال وتحسن تربيتهم.

إن المشكلات التى يسببها الزواج الشرعى كثيرة ومتعددة والسبب فى ذلك يعود إلى التفسيرات المختلفة بل والمتضاربة، ولكى نتجنب هذا التضارب فيجب أن تصبح قوانين الزواج مدنية امتداداً للقوانين الأخرى.

إن الثورة الاجتماعية التى نطمح إلى تحقيقها تحتاج إلى خطوات تتسم بالجرأة والاقتحام، فعندما تحصل المرأة على استقلالها الاقتصادى والنفسى وتبنى العلاقة بينها وبين الرجل على الندية والمساواة والاحترام، عندما تتوارى وتختفى الازدواجية الأخلاقية ويحل محلها قيم الصدق والمواجهة وعدم التخبية، عندما يكف الأهل عن بيع المرأة فى سوق الزواج لمن يدفع أكثر، عندما تنتفى رذيلة الطاعة من حياتنا، عندها سيفرز المجتمع رجالا ونساءً أسوياء، وحينئذ تكون البداية الحقيقية لثورة تشمل كل حياتنا بما فيها مؤسسة الزواج.

غيبوبة لكل مواطن

غياب الضمير أصبحت عبارة مستهلكة تلوكها الألسن عند وقوع حادثة أو كارثة يرسم خطوطها التسيب والإهمال. من حين لآخر تتناوب علينا الحوادث والكوارث فى مصر، حوادث مهما تنوعت وتعددت فى الشكل والمظهر إلا أن مضمونها يكاد يكون واحداً وهو حصد الضحايا فرادى أو جماعات يصابون فى صحتهم أو يموتون دون ذنب اقترفوه فى تنوعات شتى، فبعض الضحايا يتحولون إلى جثث متفحمة بسبب الحرائق فى قطار أو مسرح عبثت بهما يد الإهمال لتخطفهم من أهاليهم لتعطيهم عنوة تأشيرة مغادرة سريعة المفعول من هذه الدنيا دون استئذان أو دون رغبة منهم فى الرحيل إلى العالم الآخر، ومنهم من يفقد حياته متهشماً تحت أنقاض المبانى التى تنهار من وقت لآخر، ومنهم من يتهاوى غرقاً فى عرض البحر فيصبح جسده وليمة وطعاماً للأسماك من كل نوع، والبعض يروح ضحايا لتناول أطعمة متشبعة بالمبيدات المحظورة عالمياً فتتسبب فى أمراض لا قبل للإنسان المصرى بها فاقداً القدرة على علاجها، ناهيك عن التسيب والفساد المالى والاستيلاء على الأموال ونهبها من خلال التستر وراء منصب حكومى. وسرقة أموال البنوك فى صورة قروض والهرب بها إلى الخارج.

وليس الأمر يقتصر على سرقة الأموال بل يتعدى ذلك إلى الإهمال والنصب باسم الطب فتسرق الأرواح وتدمر بعض الأعضاء البشرية بالخطأ وتسرق ويتم بيع بعضها فى المزاد لمن يستطيع أن يدفع أكثر. إن حوادث النصب والإهمال وزيادة الأخطاء فى العمليات الجراحية قد تزايدت فى الفترة الأخيرة مع "حمى الفلوس" من أجل اللهاث وراء الثراء السريع، فنسمع عن مرضى يروحون فى غيبوبة تودى بحياتهم إلى الموت والقليل من يفيق منها وينجو ويعود إلى بيته سليماً، والبعض قد يحدث له أضراراً صحية بالغة قد تلازمه بقية حياته.

لقد سمعنا أيضاً عن مركز العيون الذى يذهب إليه المريض ليصحح نظره فيعود إلى بيته فاقداً ذلك البصر، وحالة أخرى لمريض وقع فريسة نصب لأحد أطباء العيون الذى أقنع مريضاً بضرورة إجراء عملية جراحية وبعد فترة ذهب المريض إلى طبيب آخر فأخبره بعد أن تحقق من حالته أنه لم تجر له أية عمليات فى عينه فالحقيقة أن الطبيب قد أدخله غرفة العمليات وقام بتخديره ثم أخرجه منها مهنئاً إياه بنجاح العملية.

إن الأمر لا يقتصر على سرقة الفلوس من البنوك فى صورة قروض بل يتعدى ذلك إلى سرقة عضو من أعضاء الجسم فلا زلنا نذكر تلك الحادثة التى اكتشف فيها أحد المرضى سرقة إحدى كليتيه بعد إجرائه لعملية بسيطة لا تتعلق بالكلى.

إلى هذا الحد يصل الأمر بطبيب أو فريق من الأطباء إلى نزع كلية إنسان وهو مسجى فى غرفة العمليات مخدراً فاقداً للوعى والإدراك.

إن الأمر هنا لا يتعلق بالضمير وتلك النعوت التى درجنا على استعمالها فى هذه الحالات، ولكنه أولاً وأخيراً يتعلق بالإهمال والفوضى والافتقاد إلى أبسط أنواع الضوابط التى تحمى المريض. بالإضافة إلى كل ما سبق فهناك مافيا السمسرة والمتاجرة بالأعضاء البشرية.

لقد قرأت منذ فترة أن وزارة الصحة قد كشفت عن جريمة جديدة للتجارة والسمسرة فى الأعضاء البشرية حيث تم إحباط جريمة بيع ونقل كلية من مواطن مصرى إلى آخر سعودى مقابل حصول البائع على مبلغ ٢٠ ألف جنيه، ومثلها لأحد المستشفيات الخاصة بمنطقة حدائق القبة، مقابل إجراء عملية النقل بداخله، وليس الأمر كذلك وحسب بل هناك وسيطاً بدونه لن تتم هذه الصفقة والطامة الكبرى أن هذا الوسيط يتمثل فى معمل تحاليل شهير بالدقى، وأن العملية كانت ستتم مقابل ٨٠ ألف دولار بالإضافة إلى تورط فريق جراحى من الأطباء مكون من ثلاثة أساتذة وأستاذاً مساعداً بطب القصر العينى وعلى رأسهم أستاذاً مشهوراً فى جراحة الكلى.

لقد تم التحقق من عدم وجود موافقة على عملية نقل الكلى سواء من نقابة الأطباء أو العلاج الحر بالوزارة. لقد تحول كل من البائع والشخص الذى يحتاج إلى الكلية إلى بضاعة أو سلعة أو عقار أو قطعة أرض يتربح من ورائها جهات مختلفة وعديدة أولها الجهة الوسيطة السمسار بعقليته وطبيعته الجشعة التى لا يهمها إلا جنى أكبر قدر من المال بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن، وصاحب المستشفى الخاصة وفريق الأطباء الذى سيجرى العملية، فإذا تمت العملية بنجاح فالكل قد استفاد وجنى مبلغاً من المال بطريقة سهلة وسريعة، أما إذا حدث شيء ما أثناء إجراء العملية وتعرض أحد الطرفين البائع أو المشترى لضرر صحى قد يصل إلى موت أحدهما أو كلاهما فلا مسؤولية يتحملها الأطراف الثلاثة فكل شيء يتم فى الخفاء فليس هناك من رقيب أو من يحاسبهم على وقوع الضرر، وتلفق الأوراق، وتزور أسباب الوفاة وينتهى الأمر بهذه السهولة.

إن القانون لا يمنع نقل الأعضاء لكنه يجرم السمسرة والبيزنس من ورائها، لقد عرفت بعض الحالات التى يمنح فيها أحد الأقرباء عضو من أعضائه على سبيل التبرع، أما أن يبيع شخص ما كليته أو فصاً من كبده فلابد أن نتوقف هنا لنرصد مدى العوز والحاجة والفقر المدقع الذى يضطر إنساناً أن يفعل هذه الفعلة. إننا نعيش فى عالم يفتقد إلى أدنى قدر من الإنسانية حيث الهوة الصارخة بين من يملكون ومن لا يملكون، بين أناس يضطرون إلى بيع أعضائهم كى يحصلون على لقمة العيش وبين أناس يسبحون فى بحر من الدولارات ويعيشون حياة مليئة بالبذخ

ويقيمون الولائم والسهرات التى تفوح منها رائحة النساء والنبيذ والأطعمة الساخنة فرنسية الطهى التى تنقل إليهم على متن طائرة خاصة.

إن غياب الضمير وغيره من النعوت التى تماثلها أصبحت فاقدة للمعنى، فغياب الضمير ليس هو السبب وراء هذه الحوادث بل هو الإهمال وغياب الآليات والوسائل وانعدام الضوابط هى الأسباب الحقيقية وراء كل هذه الكوارث والحوادث. إننا كعادتنا نتذمر وننفعل ونتحرك بعد وقوع الكارثة أو الحادثة ثم بعد ذلك نهدأ وننسى ونغط فى النوم إلى أن نستيقظ على دوى كارثة أخرى. فها هو وزير الصحة يعقد اجتماعا مع جمعية أمراض الكلى للوصول إلى آليات للقضاء على هذه الظاهرة. وأنا أتساءل أين كان وزراء الصحة السابقون؟ وماذا فعلوا من أجل القضاء على هذه الظواهر وغيرها التى أصبح الاهمال بطلا لها؟

دائما نفكر بعد أن تحدث الحادثة!، دائما نكون ردا للفعل ونعجز عن أن نكون فعلا!، ذاكرتنا قد انمحى منها ما يعرف باستباق الأزمات وكيفية مواجهتها والتعامل معها قبل أن تحدث. عقليتنا تقفز إلى النتائج دون التوقف عند الأسباب لفهمها ومعرفتها ومن ثم البحث عن الحلول.

ستظل الحوادث والكوارث تداهمنا وتفاجئنا من وقت لآخر ما دام الإهمال ينتشر فى حياتنا، يسرى ويتشعب فى كل صغيرة وكبيرة فيطبع بلونه الذى ألفناه شوارعنا وبيوتنا ومؤسساتنا وسلوكنا، ما دامت عقليتنا تتهاوى وتسقط فى غيبوبة طويلة لا توقظها وقتيا إلا الحوادث والكوارث فلا فائدة ترجى من أى شىء، لقد شاعت حالة من الغيبوبة الطويلة التى سقط فى غياهبها الكل، ان المجتمع كله يحتاج إلى الخروج من غرفة الإنعاش ليفيق ويعى ويدرك ما ينتظره من أخطار. إن الجدية واليقظة الدائمة ووضع الضوابط والاليات لمحاصرة كل أشكال الإهمال هى الوسائل التى يمكن من خلالها محاصرة الحوادث والكوارث لنتخلص من تلك الغيبوبة الجاسمة على أجسادنا، ويتوقف هذا النزيف وذلك العبث بصحة الناس وسلامة أرواحها.

مجهولـــو النســـب
ضحايا لغياب العدالة

عندما أتأمل حركة الحياة على كوكب الأرض الذى يستضيفنا ويأوينا بين جنباته أشعر أن هناك عالمين، عالم فيه الكل يدور فى فلك التقدم والتطور، الكل يحـاول اللحاق بقطار التغير السريع، لم يعد هناك مجال للتمهل أو التردد وإضاعة وإهدار الوقت، تغيرات نشهدها على كل الأصعدة، إنهم يسكبون الماء الملوث ليستبدل بماء نقى ويهيلون التراب على القوانين الفاسدة لتستبدل دون إبطاء بأخرى تحمى الناس وترعى مصالحهم.

ونحن فى مصر لنا عالمنا الخاص الذى من أهم صفاته البطء الشديد فـى كـل شيء، نتعاطى البطء منذ أن نصحو وحتى ننام، نتوهم أننا نتحـرك ولكنهـا فـى الحقيقة حركة دائرية توصلنا لنفس نقطة البدء لا نتقدم على أثرهـا خطـوة، وإذا حدث وتقدمنا على استحياء خطوة متواضعة إلى الأمام نكون فى المقابل قد خسرنا خسائر فادحة بعد تفنننا فى إهدار الوقت فيتشرد ويهلك الناس وتضيع الحقوق بسبب هذا البطء الجاسم على عقولنا وأرواحنا ومؤسساتنا، إننا نزحف بدلاً من أن نخطو، نزحف وكأن عادة الزحف قد محيت من ذاكرتنا الخطوات ويمضى الوقت طاويـاً العمر فى سجالات سفسطائية عقيمة تؤخر ولا تقدم.

هذا البطء ينسحب على كل النواحى فى حياتنا وخاصة فى مجال تشريع القوانين فقانون اكتساب الجنسية المصرية لم ير النور إلا بعـد أن عانـت الأم المـصرية وأولادها الأمرين، فلم يصدر هذا القانون إلا بشق الأنفس حتى وبعد صدوره تلاقى الأم الأمرين حتى تنتزع هذه الجنسية لأولادها. وهذه الأيام هناك جدل لاستـصدار قانون جديد لمجهولى النسب. ففى الآونة الأخيرة ومع سيادة مناخ الكبت الجنـسى وفى ظل المعوقات الاجتماعية الكثيرة لجأ الشباب والشابات لعمل علاقات متعـددة الأشكال، علاقات خارج الزواج وأخرى من خلاله سواء كان زواجـاً عرفيـاً أو سرياً، نتج عن هذه العلاقات ضحايا من الأطفال مجهولى النسب فالمحاكم المصرية تنظر فى أربعة عشر ألف حالة أو أكثر من الأطفال مجهولى النسب لا يمتلكون أى نوع من الأوراق الرسمية التى تدل على انتسابهم إلى أب معروف، أنهم ضـائعون بسبب قانون قديم يحكم لصالح الرجل وفقاً لأحكام الـشريعة الإسـلامية ضـارباً بعرض الحائط كل المتغيرات العلمية التى يمكن أن تحسم هذه المشكلة بما لا تـدع مجالاً للشك.

لقد كان الفقهاء يحددون إثبات النسب بعدة طـرق وهـى الفـراش أى فـراش الزوجية والاستلحاق وهو الإقرار بالنسب، والبينة هى إثبات الأبوة والإقرار بهـا

والقيافة التى تتبع الأثر لمعرفة إثبات النسب والفراسة لمعرفة الملامح المميزة للمولود والتى يتشابه فيها مع الأب الحقيقى، ولهؤلاء الفقهاء العذر فى استخدام هذه الطرق فى الماضى لكن أن يتمسك ويتشبث بها البعض هذه الأيام فهذا ما لا يتفق مع متغيرات الزمن والعصر. إنه بالإضافة إلى المعوقات الاجتماعية وترهل وبطء المنظومة الحكومية وخاصة فى الجوانب التشريعية يأتى المشتغلون بالدين نساء كانوا أم رجالاً يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة، الأمر الذى يؤدى إلى الإبطاء فى إيقاع القضايا المختلفة فتتزايد وتتفاقم المشكلات التى تنتج عنها. ففى مسألة مجهولى النسب كل منهم يأتى برأى يرى أنه الصحيح مستنداً على آيات من القرآن أو مستنداً على رأى البعض من الفقهاء، فمنهم من يرى أن ينسب الطفل لأبيه والبعض الآخر يرى أن ينسب الطفل لأمه. لقد أفتى د. على جمعة – مفتى الجمهورية – بأن الطفل الذى ينتج عن علاقة الزنى ينسب لأمه. إن إقرار المفتى بأن ينسب الطفل لأمه هو نوع من أنواع "التجريس" على فعلتها وهو بذلك يعفى الرجل الذى أخطأ نفس الخطأ من تحمل نتيجة فعله فالمرأة تدان وتعاقب اجتماعيا، أما الرجل فيترك طليقا... أين العدل هنا؟ هذا بالإضافة إلى أن الطفل الناتج عن هذه العلاقة والذى لا ذنب له فى ذلك هو الذى سوف يوصمه المجتمع بالتجريس والفضيحة طوال حياته، الأمر الذى ينعكس على تكوينه النفسى وعدم تقبله لمجتمع يدينه ظلما على ذنب لم يفعله، الأمر الذى قد يحوله عندما يكبر إلى مجرم يقتص لنفسه من هذا المجتمع الظالم. وتعليقا على رأى المفتى ترى الدكتورة نوال السعداوى أن المجتمع الذى يقبل أن يدفع الأبرياء خطأ الآباء هو مجتمع لا إنسانى وبلا ضمير وبلا دين، لأن الدين الحقيقى لا يعاقب البرىء ويطلق سراح الجانى فالقانون غير عادل والشرع كما يطبق الآن أيضا غير عادل، وترى الدكتورة نوال أن النسب إلى الأم يجب أن يحظى بالشرف الذى يحظى به النسب الأبوى ويكون الطفل طفلا شريفا وشرعيا كالابن الذى يحمل اسم أبيه. إن هذا الرأى يمهد لخلق قيم جديدة على أساس من العدل والمساواة ولرفع الظلم بسبب هذا القانون الفاسد.

إن كثيرا من البلاد الأفريقية والأوروبية ينسب الطفل فيها إلى أمه وهذا ليس شيئاً مخزياً بل هو مدعاة للفخر والاحترام للدور الذى قامت وتقوم به الأم، بالإضافة إلى أنه يجب أن تمحى كل أشكال التفرقة بين الابن الشرعى وغير الشرعى لأن الطفل ليس له أى ذنب... إن رجال الدين يشيعون باختلافاتهم التخبط والبلبلة التى لا ينقذنا منها إلا الأخذ بتقنيات العلم الحديث، إنه يساعدنا على الحسم فى القضايا والمشكلات التى تواجهنا والتى نتعثر فى حلها أو نحلها بشكل ظنى، فتقنية البصمة الوراثية D.N.A تعد جازمة وأكيدة فى إثبات النسب، لذلك فإن تهرب ورفض الرجل يعد قرينة على ثبوت نسب الطفل للأب المدعى عليه. ومع ذلك ترى إحدى المشتغلات بالدين والتى تؤيد خضوع الرجل لتحليل D.N.A أن ينسب الطفل إلى الرجل كنوع من العقاب، ولكن يمنع الطفل من الميراث والسبب فى ذلك

كما ترى أن تغلق الباب أمام افتراءات وكذب النساء على الرجال فى هذا المجال وكنوع من التجريس، أيضاً يكتب فى بطاقة الرجل أن له ابناً غير شرعى، أما المرأة فيكتب فى بطاقتها "لم يسبق العقد عليها"، وهنا أيضاً ومع هذا الرأى يدان كل من طرفى العلاقة ولكن يظل الطفل هو الضحية فليس له نصيب من الميراث وهذا ما يريده الأب ويتمناه وفى تجريس كل من الأبوين عار للابن وإدانة له من المجتمع طيلة حياته.

إن هناك ضرورة ملحة إلى النقاش والجدل فى أى مشكلة من المشكلات بغرض الوصول إلى حلول لها تدفع وترفع الظلم الواقع على الناس بسبب هذه المشكلة لكن، التمادى فى النقاش بلا طائل هو ما يؤخر ويبطئ امتلاك المفاتيح التى تمكننا من حل هذه المشكلات. إن ما يحول بيننا وبين البت السريع والفورى فى أى مشكلة تواجهنا هو الخوف من الجديد، لقد ألفنا كل ما هو قديم واعتدنا عليه فنحن نعيش فى الماضى نجتره من وقت لآخر كى نبحث فيه عن حلول للحاضر، لقد تم إلغاء عقولنا وفضلنا أسرها فى سراديب الماضى على أن نطلقها حرة مقتحمة لكل جديد لتتعايش مع حركة التغيرات المذهلة فى الحاضر والمستقبل. اللافت للنظر أن هناك شبه إجماع على خضوع منكرى النسب من الرجال لتحليل البصمة الوراثية من المشتغلين بالدين وأصحاب الفكر والتشريع، ولكن إلى الآن لم يظهر القانون إلى النور، ألم يحن الوقت للتخلص من طرقنا القديمة فى المماطلة وإضاعة وإهدار الوقت فى حوارات عقيمة تؤخر ولا تقدم؟! إن أربعة عشر ألفاً من الأطفال معلقون بين الوجود الرسمى وعدم الوجود، إنهم ينتظرون من ينقذهم من الضياع فهم ضحايا ولو تركوا طويلاً فسوف يتحولون إلى إرهابيين وجلادين يضمرون العداوة والحقد على مجتمع تهاون وتخاذل فى أن ينتزع لهم حقوقهم فى ظل قانون يفتقد إلى العدالة وتغيب عنه روح الإنسانية.

مختل عقلياً... محتل عقلياً...
يـــا قلـــب لا تحـــزن!

جثث تتناثر مقطعة الأوصال والأعضاء فى ثلاثة منازل متباعدة فـى جنـوب القاهرة... الاعتداء على ثلاثة كنائس بالإسكندرية وسقوط قتلى أبريـاء مـسيحيين ومسلمين... الهجوم على أحد المساجد فـى المنـصورة والاعتـداء علـى أحـد المصليين... محاولة تشويه بعض وجوه الفنانين وتهديد بعض الفنانات بالقتـل... أحداث متتالية أبطالها مختلون عقلياً. لقد أصبحت جرائم المختليين عقلياً فى الآونة الأخيرة حديث مصر من أقصاها إلى أقصاها الأمر الذى فرض نفسه بقـوة علـى صفحات الجرائد والمجلات، والقنوات الفضائية والأرضية لبحث هذه الفئة وتسليط الضوء عليها للوقوف على الأسباب الحقيقية لهذه الجرائم ومن ثـم البحـث عـن العلاج.

لقد أصبح المختل عقلياً وراء هذه الجرائم فهو الحل السحرى المعد سـلفاً لـدى وزارة الداخلية حينما تتشابك العوامل ويلتبس الغموض وتتعقد الأسـباب لإخفـاء الأسباب الحقيقية لبعض هذه الجرائم.

تأملت كلمتى مختل... ومحتل... فالفرق بينهما نقطة واحدة، هل تعمد اللغويون أن يكون الفرق بينهما بسيطاً إلى هذا الحد؟ وما هو وجه الشبه والخلاف بين هاتين الكلمتين؟

إن المختل عقلياً هو روح محتلة بالاضطرابات، هو أرض مـسكونة بالتقلبـات والشغب النفسي، هو إنسان مسلوب الإرادة ولا يملك من أمره شيئاً، عقله قد دمـر فسقط فريسة لأقوال وأفعال ليست لها علاقة بالعقل والمنطق.

تأملت حالنا وطرقنا فى التفكير وأتصور أننا نقترب من حالة الاختلال العقلـى، فالعقل المصرى والعربى يخضع لأشكال متعددة من الاحتلال العقلى.

محتلون عقلياً بغياب المشاركة السياسية، وخلل التوازن بين قطبـى المجتمـع النساء والرجال، والقفز على حقوق الأقليات، وانعدام ترجمـة اقتراحـات هيئـات المجتمع المدنى فهى مهمشة ولا تدخل فى أجندة صنع القرار السياسى.

محتلون بحالة الفقر فى الانتاج، وهيمنة البضائع الأمريكية والأوربية والصينية، محتلون بالبطالة والفقر، وخصخصة وبيع القطاع العام، وبالفساد المالى والإدارى، ونقص الخدمات على كل المستويات.

محتلون إعلامياً حيث غياب التعددية الفكرية، وتبديد الأمـوال علـى بـرامج تليفزيونية لا تهدف إلا إلى الإثارة والتسطيح وتزييف الوعى لحجـب أى فرصـة للتفكير وتنشيط العقل.

محتلون بالتيارات الدينية ذات التفسيرات الذكورية الإرهابية التى شغلها الشاغل هو إصدار الفتاوى البالية والتى تكبل العقل وتدعو إلى التخلف والتأخر.

محتلون عقلياً بالدجل والشعوذة والإيمان بالقوى الخفية والجن، فعندما نفتقد التفسيرات العقلانية والعلمية للظواهر نلجأ إلى الخرافة والشعوذة والسحر للبحث عنها، لقد كشفت إحدى دراسات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية أن نصف النساء المصريات يؤمن بالدجل والسحر فهناك ٢٥٠ ألف دجال يزاولون الدجل والشعوذة، أيضاً يوجد ثلاثمائة ألف مصرى يدعون العلاج بالقرآن والكتاب المقدس. وينفق المصريون ما يقرب من عشرة مليارات جنيه سنوياً على السحر والدجل وهو ما يقترب من ثلاثة أضعاف ما تدخله قناة السويس فى العام، إن الإيمان بالسحر والشعوذة يبطل مفعول العقل ويسقطه فى غيبوبة لا أمل فى الشفاء منها.

محتلون إبداعياً وفنياً، إن الفنون السائدة ترسخ لعدم إعمال العقل، فهى تدور حول كثير من الموروثات التى انتهت صلاحيتها بفعل تغير الزمن، لقد أصبح الفن سلعة ينتجها من يدفع للعب على الغرائز والحرمان الجنسى والنكات الفجة والبذيئة، واستعراضات البهلوانات، وتفريغ الفن من أى مفهوم ناقد يحرك العقول ويرتقى بالذوق والإحساس.

محتلون بضجيج الميكروفونات فى المناسبات المفرحة والمحزنة، محتلون بصخب و"زعيق" المساجد خمس مرات يوميا، محتلون بالضوضاء فى الشوارع والميادين والبيوت، لقد خاصمنا الهدوء ورحل هارباً إلى شعوب أخرى متحضرة تحترمه وتقدره، وبالرغم من ذلك فالدولة تغمض عينيها وتصم آذانها عن هذا الهوس الضوضائى وكأنها تعاقبنا، فالضجيج هو خير وسيلة للتشتت الفكرى وضعف الانتباه وعدم التركيز وضعف الذاكرة بل وتدميرها فى بعض الأحيان الأمر الذى قد يجرفنا إلى المرض النفسى والذى قد يؤدى مع الوقت إلى الخلل العقلى، أليست الأصوات العالية المستمرة والمفاجئة هى وسيلة ناجعة من وسائل التعذيب فى السجون.

محتلون تعليمياً بمناهج دراسية تميز بين الجنسين، وتشيع طريقة التلقين والحفظ والطاعة العمياء للمدرسين، ومصادرة الأسئلة التى تتصف بالجرأة وتحفز العقل على التساؤل والتفكير.

محتلون بالازدواجية الأخلاقية فهناك أخلاق للرجال وأخرى للنساء، أخلاق للفقراء وأخرى مغايرة للأثرياء، محتلون بالكذب والنفاق والخوف من الجديد، والإرهاب الفكرى، فالشعوب الخائفة تتجمد أوصالها وتصاب بالتيبس العقلى.

إننا نطبق على أنفسنا الأحكام العرفية العقلية، فالأفكار الجديدة يدان أصحابها ويتهمون بقائمة الإدانات المعروفة كالعمالة للفكر الأجنبى، والكفر والنيل من وحدة الوطن وتماسكه والبعد عن الولاء والانتماء.

إن عقول النساء والرجال فى مجتمعاتنا محتلة بالتحيزات الذكورية فـــى البيــت وفى شتى مجالات الحياة، واحتلال عقل النساء له خطورته لأن المرأة يعول عليها فى مجتمعاتنا فى تربية الأبناء، ولأنها لصيقة بهم طوال اليوم بقدر أكبر من الرجال فإن تأثيرها أعظم منه، فالأم التى يتم اختراق عقلها تؤثر على المجتمع بأسره وقد يكمن السبب الرئيسى الذى تحاول تحقيقه التيارات الدينية الممهدة لإقامـــة الـــدول الدينية هو امتلاك عقل المرأة واحتلاله، فإذا استحوذت هذه التيارات على النـــساء، ضمنت امتلاك المجتمع بأسره.

إن أشكال الاحتلال تتعدد فهى ليست مقصورة على سيطرة الآليات العـــسكرية واقتحام الدبابات وبناء القواعد العسكرية على أرض الوطن، فقد يكون هذا الـــشكل من أشكال الاحتلال هو الأسهل والأخف وطأة لأنه يمكن مقاومته وطرد المستعمر عاجلاً أم آجلاً، إنه ليس من العيب أن تحتل عقلياً، ولكن العيب أننا لا نـــرى أننـــا محتلون ولا نقاوم هذا الاحتلال، أننا نفتقد الرغبة فى مقاومـــة هـــذا الاغتـــصاب والاحتلال العقلى. إن تعدد أشكال الاحتلال العقلى وحدته قد تؤدى إلـــى الوقـــوع فريسة للمرض النفسى، ومن ثم الخلل العقلى. إن الاستقلال العقلى للشعوب يـــشكل نوعاً من الحصانة والوقاية لكى لا تحتل ولا تنتهك خارجياً.

إننا فى أمس الحاجة إلى دستور جديد يحررنا من القيود التى تكبل العقل العربى من سلاسل الموروثات والأفكار العقيمة، لا مفر من إحداث تغيرات جذرية فى شتى مناحى الحياة العقلية لكى يفيق العقل العربى من غفوته وثباته العميق.

متى يتحقق الحلم لنحتفل بعيد استقلال العقل العربى، لابد لنا من صحوة تبـــث الروح فى العقول التى ترقد كسيحة فاقدة الوعى والإدراك فى غرفـــة الإنعـــاش، عقول قاربت على الموت ولا بديل إلا لليقظة والصحوة وإلا فالفناء قادم لا محالة.

هل الإخوان المسلمون جماعة محظورة حقاً؟!

هناك بعض الألفاظ تكتسب مصداقية وقناعة لمجرد ترديدها مراراً وتكراراً ولكن حينما توضع هذه الألفاظ والعبارات على محك التأمل والتفكير نجد أنها تفتقد هذه المصداقية فى الواقع المعاش.

من هذه العبارات "جماعة الإخوان المسلمون المحظورة" وهى من العبارات التى أصبحت شائعة على ألسنة المحللين السياسيين والمعنيين بأمور الفكر والثقافة فى مصر وغيرها من البلدان.

إن عكس عبارة جماعة محظورة هو جماعة أو حزب مصرح به وتعنى ممارسة العمل السياسى من خلال غطاء قانونياً يتيح لأعضاء الحزب ممارسة أنشطته علناً وبدون سرية.

إن جماعة الإخوان المسلمين محظورة قانونا لكنها فى الواقع ليست كذلك فتواجدها وحضورها أصبح طاغياً ومنتشراً أكثر من الأحزاب الأخرى وخاصة أحزاب المعارضة التى أنشأت منذ سنوات عديدة. لقد أصبحت الجماعة لاعباً أساسياً ومؤثراً على الساحة السياسية.

إن الإخوان المسلمين لا يمتلكون مقراً يعقدون فيه ندواتهم واجتماعاتهم ولكنهم بالرغم من كونهم جماعة محظورة يمتلكون العديد من المقرات التى تحتضنهم وترحب بهم والمتمثلة فى المساجد التى تنتشر فى مصر من الشمال إلى الجنوب وكذلك الجمعيات الإسلامية الخيرية، إن الجماعة تتبنى برنامجاً يحدد مطالبها ورؤيتها للإصلاح، والمتأمل لبنود هذا البنامج يجد أنه لم يخرج أو يختلف كثيراً عن برامج الأحزاب المعارضة دون أن نلمح فيها حلاً إسلامياً كما تدعى.

والجماعة وفقاً للحظر المفروض عليها ليس من حقها امتلاك جريدة تطرح من خلالها رؤيتها وأطروحاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكنها مع ذلك لديها بديلاً أقوى وأسرع تأثيراً من حيث التسلل والتغلغل إلى عقول الناس على اختلاف توجهاتهم إنها القنوات التليفزيونية الأرضية والفضائية التى تدخل وتشد آذانهم وعقولهم، فهى قد روجت لأفكارهم، وهى تمثل نوعاً من الإلحاح الذى أدى إلى الهيمنة والسيطرة على عقولهم وخاصة البسطاء منهم، إنها الأداة المؤثرة التى يمكن أن تشكل عقول أمة بأسرها. وأيضاً من خلال بعض خطباء المساجد الذين يروجون لأفكار هذه الجماعة وذلك تحت سمع وبصر الدولة التى تعاملت بدون اهتمام ولا مبالاة مع هذه الظاهرة.

إن أعضاء الإخوان يدخلون الانتخابات تحت مسمى المستقلين وأنا أفهم من كلمة مستقل أنه العضو الذى يعبر عن أفكاره السياسية بشكل فردى، والإخوان يدخلون الانتخابات كمستقلين وهم فى حقيقة الأمر يمثلوا تياراً إسلامياً أصولياً واحداً.

إن عدم التصريح للإخوان بإنشاء حزب مرجعه إلى الدستور المصرى الذى يحظر إنشاء حزباً من الأحزاب ذو توجهات دينية. ولكن الإخوان فى الواقع الملموس يقحمون الدين الإسلامى فى السياسة فيتلاعبون بالدين ويستخدمونه استخداماً نفعياً يصب فى مصلحتهم فيرفعوا شعار الإسلام هو الحل ليستدروا ويكسبوا تعاطف البسطاء من الناس ليحصدوا الأصوات فى الانتخابات كما حدث فى انتخابات مجلس الشعب الحالى.

فى هذه الدورة قد يحصل الإخوان المسلمون على العديد من المقاعد، ولكنهم يعدون أنفسهم إلى الدورة القادمة لكى يحصدوا أكثر وأكثر ويمارسوا ضغوطهم حسبما شاؤا.

إن جماعة الإخوان المسلمين لا تكل ولا تمل من محاولة التسلق للقفز والسيطرة على السلطة ومقاليد الحكم، فمنذ إنشائها سنة ١٩٢٨ لم تنجح هذه الجماعة فى انتزاع الاعتراف بها من قبل الحكومات المتعاقبة سواء كانت ملكية أو جمهورية. لقد استخدمت الجماعة شتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة، فتحالفت مع أحزاب تتنافر معها وتضمر لها العداء والكراهية وبالرغم من ذلك تحالفت معها للتسلق على السلطة والحكم، لكن الطابع العام فى استراتيجيتهم كان الانحياز إلى محاولات القتل والاغتيالات للتخلص من خصومهم. إن تاريخ الجماعة ملطخ بدماء السياسيين والصحفيين والمفكرين والأبرياء من عامة الشعب والسياح الأجانب والتى كان آخرها حادث الأزهر والسيدة عائشة.

لقد تسلل أعضاء الجماعة ومن يؤيدونهم إلى الإدارات والمصالح الحكومية والإعلام وصبغوا كل شيء بصبغة دينية شكلية يفوح منها رائحة ادعاء الفضيلة والصلاح. لقد شكلوا عقول الناس بهذه الصبغة حتى صارت قطاعات عريضة من الشعب مغيبة، فسادت روح التطرف والعنصرية. وعلى ذلك أصبحت الساحة مهيأة لمساندتهم ومنحهم أصواتهم تحت تأثير شعارهم الخالى من المعنى "الإسلام هو الحل".

ولأن الشعب المصرى يغلب عليه صفة التدين فقد سايرهم ودان لهم بالولاء والطاعة، لقد أعلن أحد مسؤلى الجماعة أن من لا يتفق مع الجماعة ويمنح أعضائها صوته فقد خالف شريعة الله. إلى هذا الحد يتلاعبون بالدين، إلى هذا الحد يقامرون باسم الله وشريعته.

إن الإخوان المسلمين يتوهمون أنهم قد حصدوا كل هذه الأصوات حباً فيهم، ولكن فى الحقيقة هى أن الناس قد أصابها حالة من اليأس والإحباط من أن تتحسن أحوالهم المعيشية، وهنا يجب أن يلتقط الحزب الوطنى والسلطة الحاكمة هذا الخيط

فلابد أن تقدم الحكومة حلولاً ناجعة وسريعة لمشكلات الناس ومعاناتهم كالقضاء على البطالة ومشكلات الفقر والاهتمام بالبنية الأساسية فى كثير من الأحياء والقرى فى صعيد مصر وريفها، والقيام بثورة إصلاحية شاملة، يشعر من خلالها المواطن والمواطنة أن أحواله قد تحسنت. أيضاً على الحكومة إفساح المجال أكثر وأكثر أمام الأحزاب المدنية المعارضة فانسحاب هذه الأحزاب وعدم قدرتها وفاعليتها قد فتح باباً واسعاً دخلت منه جماعة الإخوان إلى الساحة السياسية لتصبح اللاعب الوحيد القادر على مواجهة الحزب الوطنى.

إن جماعة الإخوان لا تتعلم من دروس التاريخ فهى لن تنجح فى إنشاء الدولة الدينية التى تهدف إلى تحقيقها وإن نجحت بعد حين فلن تصمد وقتاً طويلاً بل ستنهار وتتداعى، فكل الدول التى أنشأت على أساس الدين لم تنجح بل جلبت على الناس المصائب والشرور، ولنا فى تجربة السودان، والمذابح التى قام بها التيار الإسلامى الأصولى المتطرف فى الجزائر، وتجربة الطالبان فى أفغانستان عبرة.

إن جماعة الإخوان المسلمين أمامهم فرصة حقيقية لإنشاء حزباً مدنيا وليس دينياً على غرار الحزب الحاكم فى تركيا الذى يعمل على أرضية علمانية وفى نفس الوقت لا أحد يستطيع أن ينكر عليهم التمسك بالإسلام ديناً. فالدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه ويجب ألا يزج به فى المهاترات والمصالح السياسية.

هذا هو الخيار الوحيد الذى من خلاله يمكن أن تنخرط جماعة الإخوان لتشارك إن كانت جادة فى الحياة السياسية دون حظر "وإن كان حظراً شكلياً"، ودون ملاحقة الجهات الأمنية لأعضائها، وإلا فسوف تتحول مصر على أيديهم إلى التطاحن والعداوة وإثارة الفتن الطائفية والمذابح والتعصب والتطرف وإشاعة الفوضى وإشعال نار الحقد والضغينة التى لن تبقى على الأخضر واليابس وهذا ما لا نتمناه جميعاً.

الزواج السياحى... نساء للبيع

أعرف مقدماً مدى الغضب الذى سوف يجتاحكم أيها القراء والقارئات بمجرد أن تقع أعينكم على هذا العنوان الذى قد يبدو للوهلة الأولى شديداً وقاسياً وجارحاً وغريباً علينا فى نفس الوقت، لنصبر قليلاً حتى تفرغوا من قراءة هذا الموضوع وحينها قد تلتمسون لى العذر فى اختيار هذا العنوان الذى يستفزنى أنا شخصياً، مثلكم، وما أكثر الأشياء المستفزة فى بلدنا.

"إعلان مهم:

نحن بعض الأثرياء هدفنا الاستمتاع بالحياة نعتصرها حتى الرمق الأخير. المتعة هى غايتنا نبحث عنها فى كل مكان، نسافر ونقطع المسافات فى كل الاتجاهات من أجل لحظة استمتاع تأجج رغباتنا المتشوقة لرعشة الحب والجمال والحياة. فبعد القحط والشظف ومرارة الاحتياج أنعم الله علينا بالمال الوفير، جاءنا من حيث لا نحتسب. فرحنا ننثره يميناً ويساراً وفى كل الجهات... ننهل من متع الحاضر ونعمه. من أجل ذلك نحن نشترى ونقتنى كل شىء قديماً كان أم جديداً، ندفع بسخاء بالسعر الذى تحددونه، ندفع بكل العملات المحلية والعالمية... لن نختلف وليس لنا اعتراضات تذكر حول السعر، فقط قدموا لنا ما عندكم وسنمنحكم الهدايا الثمينة فوق ما تطلبون. فهل من شىء تبيعوننا إياه... عفواً... إن كنتم فى حالة من الفقر والعوز الشديدين ولم تجدوا أو تعثروا على شىء، تبيعونه، فلا تتكدروا ولا تحزنوا فلأننا أناس مرهفو الإحساس ومن أهم صفاتنا رقة المشاعر فلن نخذلكم، فهناك ما هو أثمن من الأشياء يمكن أن نشتريه منكم ولديكم منه الكثير والكثير... فإلى جانب الأشياء نحن نشترى الأجساد والنفوس، ألم أقل لكم أننا نشترى كل شىء! أما ما نفضل شراؤه فهو البنات الصغيرات العذراوات، ويمكن أن نقبل بالنساء الناضجات الحسناوات، ستتغير أحوالكم من الفقر والحرمان إلى ثراء ورغد ونعيم. سنغدق عليكم من أموالنا الوفيرة فتتحول نظرتكم السوداوية التشاؤمية إلى تفاؤل وألوان وردية. فلا تفوتوا هذا العرض المغرى والفرصة الذهبية، أقلامنا متحفزة منتصبة على دفاترنا المصرفية، وإذا أردتم الثمن نقداً فأيدينا متحفزة على جيوبنا، فقط ننتظر الموافقة ونتشوق لسماع كلمة نعم سنبيع".

هذا الإعلان بالرغم من أنه يمثل نوعاً من الفانتازيا إلا أنه أقرب إلى الحقيقة والواقع.

لقد حدث هذا فى محافظة (إب) فى اليمن وفى أماكن أخرى من عالمنا الإسلامى.

إذا جاءت الموافقة بالبيع، للتخلص من هوان الفقر، فإنه فى يوم واحد يتم الزواج فيأتى المأذون والشهود ومع القبول من الطرفين يصبح الزواج رسمياً وشرعياً،

ويصطحب الثرى العربى عروسه إلى أحد الفنادق حيث يقضى معها عدة أيام ثـم يختفى إلى الأبد عائداً إلى بلده بحجة السفر لاستخراج تأشيرة للعـروس الجديـدة. وهكذا تنتهى القصة بالنسبة له حيث تبدأ العواقب الوخيمة للعروس ولأسرتها الذين يظلون فى حالة من الانتظار اليائس للزوج الهارب.

ليست زيجة واحدة التى حدثت بهذه الطريقة بل مئات الزيجات إلى درجة أصبح فيها هذا الزواج ظاهرة تسمى بالزواج السياحى، إن الأسرة تدفع ثمـن تـسرعها وكذلك البنت تهدر كل حياتها بعد أن تكتشف هذه اللعبة وهذه الخديعة.

إن المسألة لا تتوقف عند هذا الحد، فالمشكلات تتضخم وتتوالى، فمع هـروب الزوج تصبح المرأة معلقة بقية حياتها، لا هى متزوجة ولا هى مطلقة، وحتـى إذا حدث وطلقت فلن يقبل أى رجل على خطوة الزواج منها فى ظل العادات والتقاليد المحافظة وقد يتسبب هذا الزواج فى الحمل وميلاد طفلة أو طفل سـيظل مـصيره مجهولاً مدى الحياة. لقد فجر الزواج السياحى العديد من المشاكل، فالزوج الهارب فى أغلب الأحيان يتزوج باسم مستعار وبيانات شخصية غير حقيقية، ومن هنا فقد يكون زواجه هذا للمرة الخامسة أو السادسة، وهذا ما يتنافى مع شـروط الـزواج الصحيح فى الإسلام.

إن الزواج السياحى ليس إلا جريمة يرتكبها رجال أثرياء مـستغلون صـيادون يسبحون فى بحور من الثراء ويحكمون قبضتهم على الفريسة التى تغرق فى بحور من الفقر والعوز والحاجة. لقد ماتت ضمائرهم وانحطت أخلاقهم. إنهم نـوع مـن الرجال الذين لا يرون المرأة إلا جسداً أو سلعة تباع وتشترى. وأيـضاً الأمهـات اللائى زوجن بناتهن بهذه الطريقة لا ينظرون إلى أنفسهن بعيداً عن تلك النظـرة، فهن أجساداً وسلع معبأة ومغلفة فى أقمشة سوداء ينتظرن من يأتى ليدفع الثمن. إن الفقر بالرغم من كونه يمثل سبباً قاهراً إلا أنه لـيس ذريعـة لأن تبـاع النـساء المستسلمات لقدرهن دون أى شكل من أشكال المقاومة أو الرفض أو التمرد علـى هذا المصير.

وبالرغم من هذا فمازلنا نتشدق فى مجتمعاتنا العربية بأنه ليس للمرأة مشكلة أو قضية! إن الزواج السياحى ما هو إلا تنويعة فجة فى نوتة التفرقة والدونيـة بـين المرأة والرجل فى مجتمعاتنا العربية. إن الأسباب الحقيقية لمثل هـذه الممارسـات تكمن فى ميراث من الظلم الاجتماعى وشهوة التملك وحب السيطرة وعدم العدالـة والمساواة وغياب الحرية وعدم الفهم والوعى بقضية المرأة. فهل للرجال وأيـضاً النساء أن يتخففوا من هذا الميراث الثقيل حتى يمكن القـضاء علـى كثيـر مـن السلوكيات الشائنة، التى فيها تباع النساء وتشترى. ومع الأسف تـستغل الفتيـات الفقيرات، وأسرها تعتبر أنها قد ودعت الفقر إلى الأبد.

ماذا أقول؟ لو كان الفقر رجلاً، لأعدمته علناً فى ميدان عام.

"حزب الله" والعنترية الدينية المسلحة

أرى مظاهر التخريب والدمار، وصور القتلى والنازحين والجرحى فى بيروت، تلك المدينة العاشقة للحياة، وأنا لا أكاد أصدق أنها المدينة نفسها التى زرتها العام الماضى بالضبط فى يوليو ٢٠٠٥!

قضيت ــ دون مبالغة ــ أجمل أسبوع فى حياتى فى بيروت العام الماضى، حيث كانت متلألئة كالنجمة، معطرة كزهرة برية يصعب الإمساك بها وحصارها، والتنبؤ بأفعالها.

الآن أشعر بأسى مكتوم وحزن محبوس، كيف فى يوم وليلة دخلت بيروت حزام التدمير الشامل، والتخريب وضرب كل مرافقها الحيوية، دخان، دم، قذائف، صواريخ، مدفعيات، غارات، هذه أصبحت الكلمات المرادفة الدالة على بيروت!

ولست متحاملاً حين أوجه الاتهام إلى حزب الله الذى لديه تعريف غريب، إرهابى، لمعنى "الصمود" الذى يكرره على مسامعنا، أنا أفهم "الصمود" أن يحمى أرض لبنان، وشعب لبنان، ومرافق لبنان، وحق لبنان فى الأمان، والاستقرار وتقرير حاضره ومستقبله، ولكن أن يكون "الصمود" فى عرف حزب الله وحسن نصر الله هو تخريب بلد، وقتل كل مظاهر الحياة من بشر ومرافق والتوعد بالمزيد من ضرب إسرائيل، ولكن على حساب دولة المفروض أنها ذات سيادة هى التى تقرر وليس حزب الله.

وينكشف الوجه الحقيقى القبيح لحزب الله أولاً أفقد مصداقية القضية الفلسطينية بعد أن حولها إلى مجرد حرب دينية، وبذلك خسر كل الدول الغربية التى كانت تتعاطف مع الحق العربى الفلسطينى وتدعم المقاومة، وترى مصداقية كفاحها المشروع، وبذلك تم له المراد الذى يخطط له وهو "الانفراد" بالتعامل مع القضية حسب هواه ومصالحه ومرجعيته الدينية.

ثانياً: جاءت نتيجة "الانفراد" حسب خطة حزب الله أول ما جاءت بتخريب دولة بكاملها، خسرت فى ثلاثة أيام نصف مليار دولار، وتحتاج سنوات لإعادة الحياة مرة أخرى.

ثالثاً: تسبب التطرف الذى يتصف به حزب الله وعنتريته فى قتل مدنيين لبنانيين شباباً ونساء وأطفالاً، أكثر من مواجهته لأفراد من الجيش الإسرائيلى.

كل لحظة يموت أناس فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، أفراد أبرياء من شعب عربى شقيق، يتحكم فى مصيرهم ومصير بلادهم، بل مصير منطقة الشرق الأوسط قوة واحدة مازالت رغم الغارات الإسرائيلية ــ المدمرة للبيوت والبشر ومحطات المياه ومحطات الكهرباء ــ تهدد وتتوعد بالمزيد من الرد، والمزيد من "الصمود"... "الصمود على طريقة حزب الله" أى التخريب "المتعمد" لدولة لبنان.

وأقول "المتعمد" لأننى أعتقد أن كل ما يحدث من سيناريوهات المذابح والقصف والتدمير والنزوح كان واضحاً أمام حزب الله وحسن نصر الله.

ما يؤسفنى من متابعة ما يحدث فى لبنان أن الغالبية من المحللين السياسيين والصحفيين والشخصيات السياسية تدعو الأمم المتحدة والمجتمع الدولى للتدخل الفورى وإنقاذ لبنان.

ألم نستفد من الدروس الماضية المشابهة؟ ألا نصحو من النوم وندرك أن "الأمم المتحدة" هى "الولايات المتحدة" وأن ما يسمى بضمير المجتمع الدولى ليس إلا أوامر وقرارات ومصالح الولايات المتحدة؟!

بل إننى أعتقد أن التعثر المتردى الذى وصلت إليه عملية السلام الآن، ما هو إلا نتيجة فشل "الأمم المتحدة" فى القيام بعملها منذ البداية.

قال حسن نصر الله لا نريد دعماً من أحد، ونحن نقول له: لا أحد يريد أن يدعمك، فمن أشعل النيران يطفئها، اطمئن... يا نصر الله... اطمئن... لا أحد، لا دولة، لديها الوعى السياسى، تريد أن تدعم حزباً يلصق اسمه باسم الله، حتى يفعل ما يشاء، ويقتل من يقف فى طريق نواياه الشريرة، سواء بالعمد، أو بالخطأ.

ماذا يعنى تعبير "حزب الله"؟ هل طلب الله من حسن نصر الله فى المنام أن ينشئ حزباً باسمه؟ هل جاءك الوحى يا شيخ حسن بأن تحول المنطقة إلى بحور من الدم وأن تخرب وأن تدمر وأن تكون شغلتك استمرار مقاومة إسرائيل والكفاح المسلح ضدها، عن طريق العنترية الدينية المصفحة؟ هل يا شيخ حسن شاهدت رؤيا تأمرك بحماية فلسطين ولبنان عن طريق القضاء على فلسطين ولبنان؟!

ومن أين يا شيخ حسن لك كل هذه الأسلحة المدمرة والصواريخ والقذائف والتمويل الذى لا ينضب له معين؟!

هل تتنزل عليك من السماء؟

كلمتى الأخيرة هى أسف وحزن ومرارة، أسف على الزج باسم الله فى حروب همجية وقرصنة برية وبحرية وجوية، وحزن على وردة جميلة فى وطننا العربى "الجزء المتفتح منه" اسمها "بيروت"، و"مرارة" لأن هذه هى أولى حلقات مسلسل الأحزاب والتيارات والقوى والمنظمات التى تحمل المرجعية الدينية، فى شغلها السياسى وصولاً إلى "تخريب المنطقة والجلوس على تلها"، ثم ينتقلون من منطقة إلى أخرى، حتى يتم اكتمال حلقات المخطط الإرهابى الدينى تحت اسم الحماية والصمود، ومقاومة الشياطين المحتلين والكفرة وأيضاً غير الكفرة.

الشرط الأوسط... الشرع الأوسط... والشرخ الأوسط! الجديد!!

أليست هذه مفارقة زمنية نادرة الحدوث... إنه ربما يكون "الشرق الأوسط الجديد"، الذى يتكلمون عنه، قد أرسى أعمدته الأولى فى المنطقة، قبل أن يُنشر هذا المقال؟ ولِم لا؟

ألا تقول إسرائيل، والولايات المتحدة الأمريكية، إن المسألة مجرد أيام، ويتم حسم الخريطة الجديدة لـ "شرق أوسط جديد"؟

ولأن الخريطة معدة... والسيناريو جاهز، والآلة العسكرية المسلحة من جانب إسرائيل لن تتوقف عن دورانها، إلا بعد تحقيق "الشرق الأوسط الجديد"، ولأن العرب، أو سكان الشرق الجديد، هم العرب، لا يتغيرون، ولا يتعظون، ولا يملكون إلا ميراثاً طويلاً من التعثرات الحضارية الأساسية، فإن الشرق الأوسط الجديد، سوف يشرق فى سماء المنطقة "بالإرادة" الإسرائيلية، و"المشيئة" الأمريكية... و"النوم العربى" المجيد.

وما هو الجديد، فى الشرق الأوسط الجديد؟ لقد تعودنا على أن يتم تصنيفاً، وتنزل علينا الألقاب الجغرافية، والحدود التاريخية، والتقسيمات، والفتن، والحروب،"عالم ثالث"، "شرق أوسط كبير"، "شرق أوسط جديد". ونحن، لا نفعل إلا الشجب، والاستنكار، والعويل، والصراخ، والمطالبة بحق ندوات ومظاهرات، ووقفات احتجاج فى الميادين والشوارع على ضوء الشموع والأغنيات الوطنية، والوقوف حداداً على الموتى والضحايا، وشتيمة منظمات حقوق الإنسان الدولية، التى تتركنا وحدنا دون دعم... وتقديم نداءات استغاثة وتضامن من الكيانات الدولية... والبكاء على الأطفال الذين ينقصهم الغذاء والدواء، والنساء اللائى يقتلن وهن حوامل.

لقد تابعت صور "التظاهر" والزعيق الهستيرى، وإطلاق تهديدات وإملاء شروط للمجتمع الدولى، من جمعيات محلية... أهلية وجمعيات حقوق إنسانية، وأحزاب مؤسسة، وأحزاب تحت التأسيس وفوق التأسيس، وتعليق لافتات تعطى الأوامر الإرهابية لإسرائيل بالتوقف الفورى لإطلاق النار ودون شرط وإعادة تعمير لبنان.

قالت امرأة مثلاً: "نريد توصيل لبن الأطفال"... قالت أخرى: "تطالب إسرائيل بوقف القتال فوراً".

وقالت أخرى محجبة: "كل واحد يتضامن بأى شىء، حتى ولو بقراءة القرآن والدعاء والصلاة لردع إسرائيل وإنقاذ الأطفال".

إننى لست ضد موقف التضامن، مع أى فئات، وقع عليها الظلم والاضطهاد والحرب، والحصار، فى أى مكان. ولكن حتى يكون تضامنى فعالاً، ومؤثراً، وقوياً، وواعياً، لابد أولاً، أن أكون أنا، فعالاً، ومؤثراً، وقوياً، وواعياً، فى مكانى وبيتى، ووطنى الأصغر.

الضعفاء فى أوطانهم، لا يصلحون لتقديم العون والتضامن، للضعفاء فى أوطان أخرى، والذين يكذبون فى أوطانهم، يكذبون حين يعلنون التضامن مع أوطان أخرى... والذين يسكتون عن عدم العدالة، وعدم الديمقراطية وعدم الحرية، فى أوطانهم، ثم فجأة يصرخون ويبكون، ويشجبون، الظلم والقمع، والقهر فى أوطان أخرى، لا يقدمون التضامن الحقيقى لمَنْ يحتاجه، لكنهم مع الأسف، يريدون زعامة وطنية زائفة، ويحتاجون تسليط الأضواء الإعلامية عليهم "كطليعة وطنية تقدمية"، ولكن على جثة الشعب المراد التضامن معه.

ما الجديد، فى الشرق الأوسط الجديد؟ أتساءل مرة أخرى.

والإجابة أجدها فى قراءة الواقع العربى المتردى، والهيمنة المطلقة لإسرائيل وأمريكا.

هو منطقة "شرط أوسط"... الشرط هنا، سيكون المصالح الاقتصادية والأمنية لإسرائيل... ولا أحد يتنفس أو ينطق... فهى أولويات تدافع عنها الأسلحة الإسرائيلية... وهذا شرط من الثوابت غير القابلة للنقاش أو حتى المساومة...

وهو منطقة "شرع أوسط"... الشرع هنا، سيكون التحصيل الحاصل للعولمة الأمريكية... والشرعية الأمريكية... والأوامر الأمريكية التى لن يُسمح لأحد، بردها، أو صدها، أو نقدها. هذا الشرع الأمريكى المقدس، له سيناريو معد سلفاً، منذ زمن طويل، ويزداد حلفاؤه مع مرور الوقت، ويشتد عوده، مع واحدية القطب الأمريكى فى السيطرة على العالم، وفقاً للمخطط الأمريكى والحلم الأمريكى.

وهو "شرخ أوسط"... الشرخ هنا، سيكون أن العرب، أو مجتمعات "الشرق القديم"، ونحن معهم، سوف نصحو يوماً من النوم، لنجد الخريطة قد وضعت، والسيناريو تم ببراعة إخراجه، والهدف قد تحقق، ونحن مازلنا نتثاءب على مهل... ونسأل: "هو فيه إيه وليه؟".

النساء الكويتيات يحرقن أنفسهن ليضئــــن للرجـــــال

فى أول مشاركة لها كانت المرأة الكويتية ــ حاضرة... غائبة ــ فى انتخابــات مجلس الأمة الكويتى والتى أجريت مؤخراً. لقد توسمت المـــرأة الكويتيـــة خيـــراً فتدثرت بالتفاؤل وتعطرت بالأمل بعد انتزاعها هذا الحق الذى حاربت مـــن أجلـــه لسنوات عدة، أخيراً بعد طول انتظار وترقب سيتحقق الحلم... حلم مشاركة المرأة للرجل فى صنع وصياغة القرار السياسى، حلم ظل عنيداً لسنوات طويلـــة يـــأبى ويرفض التحقق، حلم سوف ترسم من خلاله المرأة الكويتية خريطة جديـــدة تحـــدد على قسماتها ملامح التغيير فى وسط الرقعة السياسية التى استأثر بها الرجل وانفرد بها مهمشاً المرأة خلف الأسوار ووراء الحدود الشرعية لهذه الخريطة. حلم ســـوف يفتح الأبواب المغلقة التى كانت موصدة فى وجهها لعهود طويلة.

ثمانية وعشرون امرأة ترشحن وكان يحدوهن الأمل لدخول المجلس ولو بعـــدد من المقاعد التى تعد على أصابع اليد الواحدة.

نشطت النساء المرشحات وبدأن يطرقن على عقول النساء والرجال معاً لعلهـــا تلين، عقدن الندوات وكثفن من حملاتهن الإعلامية، وتفاعلن بترحيـــب واحتـــضان النساء لهن وكذلك الرجال الذين أبدوا تعاطفاً كبيراً تجاههن.

أربعون يوماً حاولن من خلالها توصيل أصواتهن إلى الناخبات والناخبين، فترة قصيرة ولكن طموحاتهن كانت كبيرة، طموحات كبيرة لانتزاع حريتهن وأصواتهن التى سرقت من حناجرهم فأصبحوا بلا صوت يسمع أو نداء يلبى، لقد أيقنت النساء المرشحات إنهن لن يحصلن على حقوقهن إلا إذا انتزعنها بأنفسهن، لن يقدم الرجال لهن حقوقاً طواعية وعن طيب خاطر، لن يتنازلوا عن مكتسباتهم التى سلبوها منهن عبر التاريخ الأبوى الطويل الذى تحولت فيه المرأة إلى ملكية خاصة للرجل، فـــلا رجاء من رجال يعيشون فى مجتمع أبوى ذكورى يتنفسون السيطرة والهيمنة على مقدرات النساء من المولد وحتى الممات.

إن الأمر مرهون بنساء يقتحمن مجلس الأمة، يعرضـــن همـــومهن ومطـــالبهن وحقوقهن التى سلبت منهن على مر التاريخ الأبوى.

لقد قارب الأمل على التحقق، أوشك الممكن أن يكون فعلاً، وقـــارب الحلـــم أن يصبح حقيقة وواقعاً يؤرخ للحظة البداية وللخطوة الأولى على طريـــق المـــشاركة وصنع القرار، وانتزاع الحرية التى هجرتهن فغابت لتعيش فى كنف الرجال.

لقد تفاعلت النساء المرشحات وداعبهن الأمل فى حصد كثير من أصوات النساء وخاصة أن مشاركة المرأة فى هذه الانتخابات كانت تشكل ٥٧% من مجموع الأصوات.

معنى ذلك أن الفرصة كانت مواتية للحصول على أكثر من مقعد، ولكن الصدمة كانت قوية والنتائج كانت مخجلة فالنساء الكويتيات لم ينجح منهن أية واحدة، لقد خذلت النساء الكويتيات المرشحات من جنسهن، وكذلك خذلهن الرجال، لقد أعطت النساء أصواتهن طواعية إلى الرجال، لم تثق النساء فى النساء كمرشحات لتمثيلهن فى مجلس الأمة الكويتى، لقد وضعن ثقتهن فى الرجال الذين كانوا حاجزاً منيعاً بينهن وبين حقوقهن، اعتقدن أن لعبة السياسة هى حكر على الرجل فهو المجرب والمناور والعليم ببواطن هذه اللعبة، أما النساء فهن لا يمتلكن التجربة ولسن مؤهلات أو متمرسات فى ساحة السياسة ويجهلن شروط ودهاليز هذه اللعبة.

لم تستفد المرأة ولم تع الدرس من التجارب السابقة، فالرجال فى المجالس السابقة كانت المرأة غائبة ومهملة ومهمشة فى فكرهم السياسى، ولم تنل إلا قدراً يسيراً من الحقوق وبشق الأنفس، ومع هذا المجلس ستتقلص حقوقهن وخاصة أن هناك تياراً إسلامياً كبيراً أصبح ممثلاً فى هذا المجلس، ونتذكر أن هذا التيار قد وقف موقفاً عنيداً وشرساً معارضاً ترشيح المرأة للمجلس استناداً على أن ذلك هو ضد الشريعة الإسلامية ومخالف لها.

لقد شكلت النتيجة القاسية التى آلت إليها الانتخابات الكويتية صدمة كبيرة لدى بعض النساء ــ من جانب ــ وخاصة المرشحات منهن، فقد بلغت نسبة المشاركة العامة فى الانتخابات ٦٥%، وقدرت مشاركة النساء بحوالى ٣٥%، ومن جانب آخر لم يكن الأمر يشكل أى نوع من الصدمة فالمجتمع الكويتى تغلب عليه السمة القبلية العشائرية، ولن يسمح النساء وخاصة الرجال لأنفسهم أن يمثلهم امرأة، فذلك ينتقص من مكانة الرجل ورجولته فهو فى عرف القبيلة والعشيرة الممثل الوحيد مهما حصلت المرأة على أعلى الشهادات والدرجات العلمية.

إن مجتمع القبيلة يهمش المرأة ويختزلها فى دورها الطبيعى فى إنجاب الأطفال وتربيتهم وفى دورها كزوجة مطيعة للرجل، ولا يسمح بعملها إلا فى وظائف معينة ومحددة فلا مكان للمرأة ولرغبتها فى التحقق كذات مستقلة عن الرجل، فهى دائماً من ملحقات الرجل وممتلكاته.

ويزيد من تهميش المرأة إذا كان هذا المجتمع القبلى يتبنى فكراً إسلامياً سلفياً، وهنا ستوصد أمامها كل الأبواب والمنافذ عندما يشهر هذا الفكر سيف الشريعة الإسلامية فى وجهها. وهنا ستطرد وتلفظ المرأة من المجلس سواء بأصوات الرجال أو حتى بأصوات النساء.

لقد دفع هذا التيار السلفى الإسلامى إحدى المرشحات إلى أن تسحب ترشيحها لتختفى وتتوارى تحت العباءة السلفية الإسلامية حيث أعلنت أن ترشيح المرأة لعضوية مجلس الأمة هو ضد الشريعة الإسلامية.

لقد كانت نتيجة الانتخابات الكويتية تمثل دليلاً قوياً على هيمنة الفكر الذكورى الأبوى على عقول الرجال وأيضاً على عقول النساء.

لقد ظن البعض وخاصة النساء المرشحات أن المرأة الكويتية بإقبالها الكبير على المشاركة والتصويت ستقلب المعايير فالبعض تحدث عن أصوات الانتقام من الرجال الذين بنوا سداً منيعاً حال بين المرأة ومطالبها فى المجالس السابقة، كما تحدث البعض الآخر عن أصوات الرأفة التى سوف تدفع العديد من الرجال للتصويت لصالح المرأة مساندة لها واعتذاراً عما اقترفه الرجال فى حقها، لقد جاءت نتائج الانتخابات مخيبة لآمال المرأة فلم يحدث هذا ولا ذاك وتغلبت المنظومة الأبوية القبلية والعشائرية وحصد الرجال كل مقاعد المجلس. إن فشل المرأة الكويتية فى الحصول على أى مقعد فى مجلس الأمة الكويتى هو فشل للنساء وأيضاً للرجال.

إن المجتمعات العربية الإسلامية لم تصل بعد إلى مرحلة البلوغ والنضج حيث ترجيح كفة القدرات العقلية والكفاءة بغض النظر عن الجنس، فهناك مجتمعات أخرى قد بلغت هذه المرحلة وتجاوزتها بمراحل حيث تقلدت نساء عديدات لمناصب قيادية عن طريق الانتخاب، صعدت إليها المرأة بفضل أصوات النساء والرجال على حد سواء، حدث ذلك فى ليبيريا مع إلين جونسون وفى تشيلى مع ميشيل باتشليت وألمانيا فى حالة أنجيلا ميركل، وغيرهن كثيرات.

لقد سقطت النساء الكويتيات فى الفخ الذكورى الذى نصبه لها الرجل منذ عهود طويلة، لقد ضخت النساء الكويتيات أصواتهن فى عروق الرجال وأصيبت هى بالانيميا السياسية وفقر الوعى وغيبوبة الإدراك، لقد ألقت بسهولة وبدون وعى بأول عملة تحصل عليها فى جيوب الرجال ليزدادوا ثراء وتزداد هى فقراً، لقد أحرقت المرأة الكويتية نفسها راضية قانعة لكى تضىء طريق الرجال ليخطوا بخطوات واثقة ويتربعوا وحدهم على مقاعد المجلس.

لقد ظنت كثير من المرشحات أن ما حققته المرأة الكويتية من الوصول إلى مراحل التعليم المختلفة وحصول البعض منهن على أعلى الدرجات العلمية سوف يمكنهن من الاختيار الحر، الأمر الذى يصب فى مصالح المرأة، فلن يشعر بهموم المرأة وطموحاتها إلا المرأة نفسها، ولكن الأمر ليس كذلك، إن الاختيار الحر الذى يصب فى مصلحة المرأة ليس مرهوناً بتعلمها وحصولها على أعلى الشهادات العلمية وليس مرهوناً أيضاً باستقلالها الاقتصادى، بل هو يتوقف فى الأساس على استقلالها وتحررها النفسى، فما زالت المرأة العربية محتلة بالفكر الذكورى الأبوى،

ما زالت المرأة تشكل أرضاً خصبة يبذر فيها الرجال أفكارهم وقـيمهم الذكوريـة الموروثة عبر القرون.

لم تستطع المرأة العربية إلى هذه اللحظة أن تتحرر نفسياً من سيطرة الرجـال وهيمنتهم عليها، والكارثة أنها غير مدركة وغير واعية لهذا، فهى مغيبة قد زيـف وعيها عبر سنوات التعليم وأساليب التربية، وعادات المجتمع وقيمه التى تعلى من مكانة الرجل وتحط من قدر المرأة.

فى طبائع الاستبداد للكواكبى يرى أنه عندما يقمع الناس وتسلب إرادتهم وتقيـد حريتهم لفترات طويلة، ثم يأتى وقت ما تتاح لهم الحرية قولاً وفعلاً فقـد نجـدهم يرفضون هذه الحرية لأنهم لم يألفوا ممارستها، فيفضلون عليها طاعتهم وعبوديتهم لسيدهم، لقد تحولت العبودية عندهم إلى طبيعة ثانية تمكنت منهم وتعايـشوا معهـا وألفوها، لقد أصبحت النساء العربيات يألفن تبعيتهم للرجل ولا يـرين فـى ذلـك غضاضة وانتقاصاً من ذواتهن، لقد انصهرن فى بوتقته وفقدن وعـيهن الحقيقـى وتناغمن مع ميراث ذكورى يصنفهن كائنات من الدرجة الثانية.

إن التحرر النفسى يمثل شرطاً ضرورياً للاختيار الحر، يقـول إيميـل كريـه "الحرية هى القدرة على الاختيار" فالمرأة التى تمتلك عقلها وقرارها وحريتها هـى التى ستختار بحق ما هو الأصلح لها.

إن الطريق أمام المرأة مازال طويلاً، وعراً، وملبداً بالغيوم، ولكن العزاء الوحيد للمرشحات الكويتيات أنهن حاولن ولتكن هذه هى الخطوة الأولى فى رحلة الألـف ميل نحو المستقبل من أجل مشاركة فاعلة فى الحياة السياسية وفى كل المجـالات الأخرى، مشاركة تتسم بالندية والمساواة وعدم التفرقة بين النساء والرجال فى شتى مناحى الحياة.

المناصرون لحزب الله
والبحث عـــن بطل!!!

مع بداية الحرب التى شنتها إسرائيل على لبنان طالعتنا الكثيـــر مـــن صـــحف المعارضة والعديد من الصحف الحكومية بعناوين تغدق فى المـــديح وتبـــالغ فـــى إضفاء صفات الشجاعة النادرة والقدرة على الاقتحام والمبادرة بالهجوم، وتعلى من مكانة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، فبعضها يصفه بجمـــال عبـــد الناصر الذى أيقظ الأمة فبدل حالها من حالة الثبات العميق بالاستسلام والخـــضوع إلى حالة المقاومة والثأر للكرامة العربية المهدرة.

وصحيفة أخرى تصفه بأنه "رجل فى زمن الأنوثة"، وهو عنوان يعبر عن تغلغل وهيمنة الفكر الذكورى وسيادة وتمكن الازدواجية الفكرية والأخلاقية فـــى عقـــول أناس يفترض أنهم يناضلون من أجل خلق قيم تدعو إلى العدل والحرية والمساواة، إن هذا العنوان يوحى بأن الأنوثة عار وخضوع واستسلام وانهزام أمـــا الرجولـــة فهى شجاعة ومبادرة وهجوم واقتحام، إن أغلب الشارع العربى يتبنى هذه الصفات وتلك الروح المساندة لحزب الله، فتتعالى صيحات الغضب والسخط على إســـرائيل بالصراخ فى أذن السيد حسن نصر الله "يا نصر الله يا حبيب اضرب ـ اضرب فى تل أبيب".

إن كثير من الأصوات المؤيدة والمساندة لخطوة حـــسن نـــصر الله فـــى أســـر الجنديين الإسرائيليين وما تبع ذلك من طرق أبواب الحرب لا شك أن لديهم إحساساً وطنياً ورغبة جارفة وتشوق وشغف للإمساك بلحظة يتوقون فيها إلى لذة النـــصر بعد هذا العقم الذى طال مداه، إن حسن نصر الله يمثل لديهم المخلص من حالة الذل والاستكانة التى يتنفسها العرب من المحيط إلى الخليج مع كل صباح ومساء، ومن هنا كان احتضانهم واحتفائهم به حيث جسد لهم صورة البطل الذى يحلمون به بعد غياب.

إن حالة "اللافعل" التى يعيشها العرب قد صبغت هذه الأصوات بألوان من العجز والشلل، مما أصابها بالإحباطات المتتالية لما آلت إليه الأوضاع العربية من الضعف وعدم القدرة على امتلاك الأدوات الضاغطة على إسرائيل بسبب تخاذل الحكومات العربية وتحول الشعوب العربية إلى أصفار لا قيمة لها، فهى لا تملك من إرادتهـــا شيئاً نظراً لسيادة المناخ غير الديمقراطى، وتردى الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية وتوارى مناخ الحرية، فهناك حالة تعطش إلى مخلص ومنقذ يخلعون عليه صفات البطولة والشجاعة والإقدام، لقد تلبستهم حالة من الاحتياج النفسى إلى بطل يأتى إليهم حتى ولو من زمان الأساطير لينقذهم ويعبر بهم تلك الهوة السحيقة بـــين

الهزيمة والنصر بين المهانة من طأطأة الرؤوس إلى الكرامة واستنهاض الرؤوس وشموخها.

وبالرغم مما نتج عن هذه الحرب من إشعال نـــار جهـــنم وإحـــراق وتـــدمير الممتلكات وحصد الأبرياء من اللبنانيين وتشريدهم والإتيان على الأخضر واليابس فلم ينظر هؤلاء المؤيدون لحسن نصر الله إلى هذه الخسائر إلا على أنها الـــضريبة التى لابد من دفعها من أجل النضال والكفاح لتطهير الوطن من الطـــامعين، لقـــد أخذتهم نشوة التماهى فى شخصية البطل الذى مثله حسن نصر الله بغض النظر عن أى خسائر مادية كانت أم بشرية.

لم يطرأ على أذهانهم المقارنة الفادحة بين خسائر كل من الطـــرفين، أخـــذتهم النشوة فنظروا إلى البلد الذى هدم فوق رؤوس أصحابه بأنه ثمناً للشرف وضريبة المقاومة التى لا مناص من دفعها.

إن بعض التيارات السياسية فى لبنان تعارض سياسة حزب الله، وهى الآن فـــى مأزق حرج سببه لها حسن نصر الله الذى يحارب بالوكالة مـــدفوعاً مـــن إيـــران وسوريا آخذاً القرارات المصيرية بمفرده، إن هذه التيارات لا تعلن عـــن غـــضبها وسخطها مما فعله حزب الله درءاً للفتنة والاختلافات الطائفيـــة. وتنتظـــر انتهـــاء الحرب لكى تعبر عن رأيها الصريح حيث تأتى ساعة الحساب.

إن كثير من الأصوات المؤيدة لحزب الله تلقى باللوم وتنعت كـــل المعارضـــين لفعله نصر الله بالخيانة وعدم الوطنية والترويج للتطبيع مع إسرائيل.

لقد استنكرت بعض الحكومات العربية ما فعله حسن نـــصر الله فنعتتهـــا هـــذه الأصوات المؤيدة لحزب الله بالخيانة وتبرير ومساندة الهجـــوم الإســـرائيلى علـــى لبنان، لقد صرح مواطنون لبنانيون فى الأيام الأولى مـــن الحـــرب أن نـــصر الله وسياسته سيتسبب فى دمار لبنان، فهل هؤلاء خونة وغير وطنيين.

نعم لقد ساهم ــ من قبل ــ حزب الله وأمينه العام فى انسحاب إسرائيل من لبنان وهذا يحسب له، ولكن ما أقدم عليه أخيراً من أسر الجنديين الإسرائيليين لـــم يكـــن موفقاً وخاصة من حيث التوقيت، فالنار كانت مشتعلة لأسر المقاومـــة الفلـــسطينية لأحد الجنود الإسرائيليين وكانت إسرائيل تشن هجوماً ضـــارياً علـــى المقاومـــة، وتتحفز لأى عمل عسكرى ضدها، لقد سكب حسن نصر الله الزيت على النار فـــى وقت كان فيه الموقف مشتعلاً وبحاجة إلى التهدئة وليس التصعيد.

لقد حزى نصر الله حزو قادة المقاومة الفلسطينية، يطلقون صاروخاً فيقتل اثنين أو ثلاثة فترد إسرائيل بقتل العشرات وتدمير مئات المنازل على رؤوس الأبرياء.

سيناريو مكرر لآلاف المرات وكل منهما لا يعى الدرس ولكن الخسارة الفادحة فى كل مرة تكون من نصيب الفلسطينيين، وهذه المرة كانت من نصيب شعب لبنان وعلى يد حسن نصر الله.

لابد من "عقلنة المقاومة" ــ إن صح هذا التعبير ــ، فهناك فرق كبير بين الشجاعة والتهور، وهذا ما أعتقد أن حسن نصر الله لم يضعه فى الحسبان، وهذه كارثة فأعمار الناس أطفال ونساء وشيوخ ومن كل الأعمار لا تقدر بقرار فردى، شخصى متهور يلبس فى الظاهر ــ عن سلامة نية ــ ثوب المقاومة والجهاد وحماية اللبنانيين وتحرير الأسرى وفى الباطن يحمل الدمار والتشريد والقتل بالجملة.

ألم يعرف حسن نصر الله أن إسرائيل تتنمر لاغتنام أى فرصة للانقضاض على الفريسة وأنه قدم لها سبباً سحرياً لإشعال الحرب واغتيال وافتراس لبنان؟، ألم يشاهد السيناريوهات المكررة لردود أفعال إسرائيل على المقاومة الفلسطينية؟، هل كان نصر الله يعتقد أنه سيحقق نصراً مبيناً على إسرائيل التى تمتلك أقوى قوة ضاربة فى المنطقة العربية؟، إن ميزان القوى يرجح كفة إسرائيل لذا كان يجب التعامل مع هذه القوة بحذر، هذا هو منطق العقل الذى يزن الأمور ولا ينساق وراء الدوافع العاطفية والوجدانية التى تعمى العقل وتغيبه.

إن أى قرار ناجح يحتاج إلى حسابات دقيقة وتقديرات محسوبة تتوقع المكسب وتتجنب الخسارة فما بالنا بقرارات المقاومة أو الحرب والهجوم على العدو، إن فشل أى خطوة يتسبب فى تكبد خسائر بشرية ومادية تؤثر على قدرة المقاومة وفاعليتها. ولكى تنجح المقاومة لابد من أن يدرك قادتها متى تبادر بالهجوم ومتى تتوقف، متى تحارب ومتى تتفاوض.

إن الخطأ الجسيم الذى وقع فيه نصر الله هو أنه لم يدرك رد الفعل الكاسح والهمجى لإسرائيل والتى كان ثمنه تدمير لبنان. إن ما فعله حسن نصر الله لا يندرج تحت أى نوع من أنواع الشجاعة بل هو التهور بعينه ودمار لبنان هو الشاهد الوحيد على هذا التهور. هذه هى الحقيقة دون تجميل أو مواربة.

ومع فداحة التدمير وعدم قدرة حزب الله على الوقوف أمام هذه القوة العاتية وخاصة إذا طال أمد الحرب فمازالت الصحف ــ ومع كل صباح ــ تطالعنا بأكليشيهات تخلع صفات البطولة والإقدام والشجاعة على حزب الله وأمينه العام السيد حسن نصر الله، ومازال الأغلبية يرددون: "نصر الله يا حبيب اضرب... اضرب فى تل أبيب!!!".

أقراص فياجرا أم صواريخ كاتيوشا!
ربــط الفحــولة الجنسيــة بالمقاومة المسلحة لحزب الله

فى كل الظروف، التى تمر بها الأوطان، والتى تدفع شدة وطأتها، البعض إلى زعزعة قناعاتهم، أو تغييرها بالكامل، فإننى فى موقفى ضد قيام، وتشكيل، الأحزاب الدينية، لا يتغير، أو يضعف.

وهذا ليس جموداً فكرياً، أو تعصباً قصير النظر، من جانبى، أو استهانة بأحداث الوطن الجسيمة التى تتشارك فيها الأحزاب الدينية بشكل أو بآخر. ولكنه موقف مؤسس، من قراءاتى، عن المآسى التى تسببت فيها الأحزاب الدينية فى كل مكان، وفى عصور متباينة... وأيضاً معاصرتى فى مجتمعاتنا العربية الإسلامية، لخطط الحركات التى تُسيس الأديان، وما تبعها من سفك دماء أو إشعال التعصب، والفتن الطائفية بين الأديان، وبين المذاهب المختلفة المنشقة من الدين الواحد.

وقد تابعت مختلف ردود الأفعال التى واكبت "مقاومة" حزب الله، والتى فى أغلبها، جاء مؤيداً، ومادحاً، وشاكراً، لصمودها أمام الآلة العسكرية الإسرائيلية... وكيف أن هذا الصمود، قد وضع رأس إسرائيل فى الحضيض، ورفع رأس العرب، وأثبت بزهو أن كرامتهم مازالت بخير، وأن عصر البطولات، والزعامات المسلحة، لم يصبح بعد من ذكريات الماضى، وكيف أن حسن نصر الله، كان الضوء الذى اخترق الظلام العربى، والكبرياء الذى أحرج التراخى العربى.

كنت ومازلت – كما كتبت فى روزا – أؤمن أن النظرة العقلانية لمصلحة لبنان، على المدى القصير والطويل، ألا يخرب هذا البلد كما حدث، وألا يكون السلاح الوحيد المدافع عن الشعب اللبنانى، هو سلاح حزب الله. أعرف أن السياسة، تضع من قواعدها، فن التكتيك، ولعبة التحالفات المؤقتة، ومبدأ "إللى تغلب به العب به". لكنى معترض على هذا المفهوم. كم من الضحايا، وكم من الأضرار، شهدتها الشعوب، وبسبب التكتيكات التى لا مبدأ لها، والتحالفات المؤقتة التى تستتر لإخفاء العجز أو الكذب، أو النوايا غير الوطنية.

حتى وإن وافقت على التميع السياسى، واستسهال الأمور بالتحالفات التكتيكية المؤقتة، مع أى قوى سياسية، فإننى أعترض على إدراج الأحزاب الدينية، ضمن هذه القوى المتحالف معها.

لقد ثبت بالفعل، أن التحالف مع التيارات أو الأحزاب الدينية، يفيد اختراقها للعقول ويفرض أكثر لهيمنة أفكارها، حتى على الحركات السياسية التى كانت قبلاً،

تستنكر بشدة قيام أى تيار سياسى دينى، وتمهد للعلمانية، وفصل الدين عن الدولة، وعدم "تديين"، الصراعات السياسية، وعدم خلط ورقة الدين المتوارثة، ضمن أوراق الحياة المدنية التى يختارها البشر بإرادتهم.

وهذا ما حدث بالفعل، مع حزب الله مؤخراً. وهو ما يعد انتصاراً للمرجعيات الدينية، التى أخذت الشكل الوحيد "للصمود العربى" ضد إسرائيل (المكروهة من أنصار الدين وأنصار العلمانية معاً).

ومن أكثر الأشياء التى استفزتنى، حين تم تتويج حسن نصر الله، قائداً للعرب، أن البعض كتب قائلاً: "حسن نصر الله رمز الفحولة العربية" و"حسن نصر الله، رجل فى زمن الخصيان" و"حسن نصر الله وعصر جديد من أجيال الفحولة" و"حزب الله يعلم العرب معنى فحولة الرجال". إنها تعبيرات أيضاً تثير الاشمئزاز، وتؤكد بيت الداء فى المجتمعات العربية، وهو "سرطان الجنس"، الذى يأكل خلايا عقولنا، ويدمر الرؤية الإنسانية، المتكاملة الأبعاد.

ما هذا الربط بين مقاومة حزب الله، وحسن نصر الله، بالفحولة؟ وكيف يصف البعض، الذين ليسوا من حزب الله، ولم يشتركوا معه فى مواجهة إسرائيل، بـ "الخصيان"؟ وما هذا الترادف بين الحركة السياسية، والمقاومة العسكرية المسلحة المؤسسة على الدين، وبين الفحولة الجنسية؟!

إننى كرجل، قرأت مثل هذه العبارات، وشعرت بمدى التخلف الإنسانى، وتضخم الذكورية الجنسية، فى مجتمعاتنا، وكم نحن مسجونون فى مصيدة "الأداء الميكانيكى الجسدى"، ومغروزون فى وَحْل "التفكير الجنسى الغرائزى"... وأن المشوار مازال طويلاً، أمام الرجال العرب (وأيضاً النساء)، لكى ترتفع قيمة الرجل العربى، والرجل عامة، عن مجرد القدرة الجنسية على جسد المرأة.

ترادف رخيص، وغير حضارى وغير إنسانى.

هل كان حزب الله، يلقى على إسرائيل صواريخ كاتيوشا، أم أقراص فياجرا؟

وهل تبعاً لهؤلاء البعض، يتغير التعبير الذى يطلقونه على حزب الله من "انتصار المقاومة"، إلى "انتصاب المقاومة"؟

وهل حينما نقرأ تعبير "قذف صواريخى من حزب الله"... يتوه خيالنا فى نوع آخر من القذف؟!

وهل لا نرى الأرض المتعارك عليها، إلا معادلاً "لأجساد النساء، ومن هنا نفهم سر المقولة الشائعة (وهى ما أخالفه) "الأرض عِرض".

تعيب مجتمعاتنا، على العالم النفسى فرويد، التحليل الجنسى للتاريخ... لكننا نفعل مثله تماماً، ولا يخيم على تفكيرنا إلا بعد واحد، هو الفحولة الذكورية.

تحطيم الفاصل التعسفى بين "الخاص"... و"العام"

من "الأورام"، "الخبيثة"، التى يعانى منها، العقل العربى الطبقى، الذكورى، هو إقامة حد فاصل تعسفى، بين "الخاص"، و"العام"، كل الثقافات المتسلطة طبقياً وذكورياً، مثل الثقافة العربية، لا تستطيع التواجد، والاستمرار فى البقاء، إلا بخلق "ثنائيات"، مصطنعة، والترويج، إنها ثنائيات متضادة بالفطرة، لكل منها معاييره، ومرجعيته، وطبيعته، وعالمه، وأن هذه "الثنائيات" بالضرورة فى صراع دائم، وأن محاولة توحيدها، أو التوفيق بينها، أو إخضاعها إلى مقياس أخلاقى واحد، هى محاولة ضد الطبيعة، وضد قوانين الوجود، وتتم عن الجهل، أو سوء النية، ونهايتها الفشل.

نذكر على سبيل المثال، التقسيم المتعسف بين الجسد والروح... العاطفة والعقل... المرأة والرجل... العبد والسيد... المحكوم والحاكم... الخيال والواقع... الخاص والعام... وغيرها.

إن "التفرقة" الفاصلة بين "الخاص" و"العام"، وتطبيق مقياس أخلاقى معين على "التجربة الخاصة"، ومقياس أخلاقى آخر، على "التجربة العامة"، و"تهميش" الحياة "الخاصة" التى يعيشها، الإنسان بدمه، ولحمه، وأعصابه، ومشاعره، مقابل إعلاء وتمجيد الحياة "العامة"، هو أحد الأورام الخبيثة، فى العقل العربى. ولايبدو أنه قابل للإزالة، أو الاستئصال، بأية عملية جراحية، ثم العلاج الإشعاعى الكيميائى، لقد انتشر الورم الخبيث فى جميع الخلايا الثقافية، وتمكن من العقل العربى.

والأمثلة كثيرة على هذه الشيزوفرنيا، بين "الخاص"، و"العام"، مثلاً لو أراد رجل ما، أن يحكى عن الفراغ العاطفى، والحرمان الجنسى الذى يعانى منه، يردون قائلين "تجربتك الخاصة، أو الشخصية متهمناش، إحنا عايزين نناقش مشاكل "عامة" و"خطيرة" زى عجز العرب عن التوحد، أو عن إنقاذ شعب العراق، أو شعب فلسطين، أو تفاقم البطالة، أو مكافحة الفساد، أو فضح الصحافة الصفراء". ولو أرادت امرأة ما، أن تشكو من تحكم أبيها، أو وصاية أخيها الصغير، أو تسلط زوجها، يردون عليها قائلين: "دايماً كده أنانية، متفكريش غير فى حياتك ومعاناتك الشخصية... يا شيخة إكبرى بقى... وانسى ذاتك... وفكرى فى حياة وطنك ومعاناته".

"لو كل واحدة وكل واحد، أنكر ذاته، ونسى نفسه وحياته الخاصة وتجاربه الشخصية، وفكر فى معاناة البلد كان زمانا بقينا أحسن ناس... الناس دى هى إللى

جايبانا لورا"... هذا هو الرد التقليدى، والفهم السائد، لما هو "خاص"... أو "شخصى"... فى الثقافة العربية.

بالطبع أنا أرفض هذا المنطق، قصير النظر، والساذج، أنا لا أفرق، بين "الخاص"، و"العام"... لا أضع حداً تعسفياً، فاصلاً، بين "المواطن" أو "المواطنة"، وبين "الوطن"... لا أميز بين "الحياة الخاصة"، و"الحياة العامة"، بالنسبة لى، "الخاص" هو "العام"... و"المواطن" و"المواطنة"، هما "الوطن"... والحياة "الخاصة"، هى الحياة "العامة".

مثلاً، أنا على قناعة، بأن الأسباب التى تفرز لنا، الفراغ العاطفى، والحرمان الجنسى، ووصاية الذكور على النساء، هى نفسها الأسباب، التى تعطل العرب عن التوحد، وتجعلهم عاجزين عن مواجهة أعدائهم، وعن حل مشكلات البطالة والفساد، والواسطة، والمحسوبية، والتعصب الدينى، أو فعل شىء إيجابى، لإنقاذ الشعب الفلسطينى، أو الشعب العراقى.

وأنا على قناعة أيضاً، بأننا إذا أردنا فهم، وتحليل المجتمع العربى، فما علينا إلا، تأمل قصة حب فاشلة، أو دراسة تعاسة زوجين تحت سقف واحد، أو دوافع الخيانات الزوجية، أو قضايا إنكار النسب، أو اغتصاب فتاة، أو أزمة نفسية تمر بها، امرأة "عانس"، أو "مطلقة".

لا يمكن فهم ما هو "عام"، إلا بفهم ما هو "خاص". إن التجربة الشخصية، أو الحياة الخاصة، هى التجلى، لما نقول عنه "عام"، وما هو "عام"، يلون كل حياتنا الخاصة، وتجاربنا الشخصية، وأنصار الفصل بين "الخاص" و"العام". إما يريدون التستر على شىء، أو لا يدركون أن "الخاص" و"العام"، هما وجهان لعملة واحدة، اسمها "الإنسان"، أو "الحياة". أو هم يريدون استمرار الازدواجية الأخلاقية والالزدواجية الثقافية، والازدواجية القانونية، التى تسمح لهم، بارتكاب أوجه الفساد المختلفة فى حياتهم الخاصة، باعتبار أنهم "أحرار"، وأن "الحياة الخاصة"، هامشية الدلالات، وأن العبرة بالممارسة فى الحياة العامة التى يأخذون فيها دور الواعظ، والجلاد، والحريص على "المصالح العامة".

إن مأساة، أو أحد المآسى الرئيسية للمجتمعات العربية الإسلامية، الطبقية، الذكورية، هى تهميش "الخاص"... وتضخيم "العام"... وإقامة جسور فاصلة تعسفية بينهما، وتطبيق قوانين تكيل بمكيالين، على التجربة الإنسانية، التى تشمل الخاص والعام فى توليفة يستحيل فصلها.

النقاب... هل هو معركتنا الجديدة؟!

إن المتأمل للشارع المصرى سيكتشف بلا عناء الازدياد فى أعداد النساء المسلمات المنتقبات فى الشوارع، فى الأسواق، فى المواصلات العامة، فى الجامعات، فى المؤسسات الحكومية والأعمال الخاصة، بل تجدهن فى النوادى وملاعب الكرة.

والتساؤل الذى يتبادر إلى الذهن ما سر ازدياد أعداد المنتقبات فى مصر؟ وفى هذه الآونة بالذات؟، هل هو شعور بعض النساء بأن الحجاب لم يعد كافياً ليفى بشروط الحشمة فلجأن إلى النقاب لأنه يخفى الجسم كله من الرأس وحتى القدمين؟، هل ارتديت النساء المسلمات النقاب من أجل التقرب إلى الله وإرضائه؟، هل هناك علاقة بين إرضاء الله وارتداء للنقاب وحجب وجهها وعدم إظهاره؟، لقد بدأ النقاب يكسب أرضاً على حساب المرأة، فكثير من المنقبات كن محجبات فى وقت من الأوقات فهل هو التطاحن والصراع على أيهما أكثر احتشاماً وأكثر صوناً لعفاف المرأة؟!

لقد اخترق النقاب طبقات اجتماعية تتنوع وتتدرج بين الفقر والغنى، وإن كان النقاب قد انتشر أكثر فى الطبقات الدنيا، وأيضاً لاقى قبولاً بين الأعمار المختلفة، عند الفتيات فى مقتبل العمر وكذلك النساء المسنات.

إن النقاب مثله مثل كثير من القضايا فى الدين الإسلامى، سيظل مسألة خلافية من الناحية الدينية، فالبعض يأتى بالحجج التى تؤيده والبعض ينفى ذلك. والتساؤل هنا لماذا يتعصب ويتشنج كلا الطرفين بالإصرار على تبنى أحكام قطعية مطلقة يكون من شأنها نفى الآخر وتهميشه وإدانته بالرغم من أن القضية هنا لا تتحمل هذا التعصب وذلك التشنج.

لقد أثار النقاب كثير من اللغط فى داخل مصر وخارجها وبعيداً عن هذا اللغط أود هنا أن أشير إلى عدة نقاط وهى:

هل ارتداء النقاب يشكل نوعاً من الراحة، راحة الجسم، وحرية الحركة وخاصة فى أيام الصيف شديدة الحرارة والرطوبة التى قد تصبح خانقة فى كثير من هذه الأيام؟

ما هى علاقة المرأة المنتقبة بمجتمعها؟، وما هى مساحة حريتها عندما تتماس وتتلامس وتحتك بالأفراد الذين يعيشون فى هذا المجتمع؟

ما تأثير ارتداء النقاب على المكتسبات والحقوق التى ناضلت المرأة من أجل الحصول عليها؟

إن للملبس وظائف عديدة من بينها الشعور براحة الجسد وحريته وسهولة حركته، فهل يؤدى النقاب هذا الدور بنجاح؟، إن النقاب الذى ترتديه المرأة لا يؤدى

دوره ولا يتناسب مع مناخ الصيف ذو الرطوبة والحرارة القاسية والتى تؤثر على النساء اللائى لا يرتدين النقاب فما بالنا بالمرأة التى تتدثر بالنقاب من أعلى الرأس إلى أطراف القدمين.

إن حرية المرأة التى ترتدى النقاب ليست منعزلة عن طبيعة المجتمع التى تعيش فيه، إن ارتدائها لهذا الزى سوف يجعلها عرضة للاصطدام بمـا هـو مجتمعـى، فالأمر لا يخص المرأة المنتقبة ولا يخص حريتها فى أن ترتدى النقاب وحسب، بل هو يمس المجتمع كله فى تعاملاته معها كى يحمى مواطنيه ومنهم المرأة المنتقبـة ذاتها، ومن هنا تنشأ المصادمات التى تسبب الكثير من المـشكلات وعلـى سـبيل المثال فمن حق بعض الجهات الأمنية فى المؤسسات الحكومية والجامعة والمـدن الجامعية للطالبات، التحقق من شخصية المنتقبة، ومن حق رجل المرور أن يطالب المرأة المنتقبة والتى تقود سيارة بأن تكشف عن وجهها لكى يتحقق من شخصيتها، إلا أن هذه الممارسات قد تغضب النساء المنتقبات فيفسرنها على أنها جـور علـى الحرية الشخصية.

إن ارتداء المرأة للنقاب سيجعلها تخسر كثيراً من الحقوق التى نالتهـا المـرأة وكافحت وناضلت من أجل الحصول عليها، إن طبيعة ملبسها يشكل عائقا يحـول بينها وبين العمل فى كثير من الوظائف فى مجالات الطب والهندسـة والـشرطة، والفنون والإعلام المرئى وغيرها من الأعمال التى تقوم بها النساء فى بلاد أكثـر تقدماً من بلادنا، كالالتحاق بالجيش وارتياد الفضاء، فمن غير المعقول أن تجـرى طبيبة ما إحدى العمليات الجراحية وهى ترتدى النقاب، أو ترتاد الفـضاء وهـى مرتدية النقاب، وبذلك تكون المرأة المنتقبة قد تسببت فى تقليص أدوار المرأة التى اكتسبتها وحاربت من أجلها عبر السنوات الماضية، ومن هنا تصبح المرأة المنتقبة ضد نفسها، وضد مصلحة النساء الأخريات.

إن وجه الإنسان هو جوهر صورته وعنوان شخصيته، والتواصل الناجح بـين الناس يتطلب أن يرى كل من المتحاورين وجه الآخر، فتعبيرات الرضا والـسخط والغضب والفرح والاعتراض والموافقة كلها تظهر مـن خـلال ملامـح الوجـه وإيماءاته وتعبيراته المختلفة، وفى حالة المرأة المنتقبة كل هذه التعبيرات تصبح بلا فائدة، لأنها اختزلت شخصيتها فى مجرد صوت ومع أن الصوت بدرجاته ونوعية نبرته له أهميته فى عملية التواصل، إلا أن عملية التواصل سيـصيبها نـوع مـن القصور والفشل، فأنت لا تستطيع أن تتواصل بشكل ناجح مع إنسانة تخفى نفـسها وراء ستار من القماش، لا يستطيع الإنسان أن يتواصل مع شخص يتكلم معه مـن وراء حاجز أو جدار يخفيه.

أيضاً إن المرأة المنتقبة عند تغطيتها لوجهها فهى تعلن بشكل غيـر مباشـر أن وجهها عورة ويجب أن تخفيه وتحجبه عن الأنظار، وهذا فى حد ذاته إساءة مـن المرأة لنفسها، وإدانة فى نفس الوقت لكل الرجال حيث أنها قد حـولتهم جميعـاً ـ

دون أن تدرى ـــ إلى كائنات جنسية. والحقيقة أن وجه المرأة ليس عورة والرجال ليسوا كائنات مهوسة بالجنس يفكرون فيه فى كل وقت.

وأخيراً هل أصبح النقاب معركتنا الجديدة؟ معركة... المصير والهويــة؟، هــل ارتداء المرأة المسلمة للنقاب هو الذى سينشر الأخلاق والفضيلة والــشرف، هــل ارتداء النقاب سيحارب ويمنع الفساد ويقضى على الفقر والبطالــة، إن الأخــلاق والفضيلة والشرف ليس لهم علاقة بزى الإنسان وملبسه سواء كان يخفى الوجه أو يظهره، إن الأخلاق والفضيلة تنبع من داخل الإنسان، من قناعاته بالقيم الإنــسانية العامة كالعدل والحرية والمساواة، إن شرف الإنسان يكمن فى عمله الدؤوب وجهده المتواصل فى شتى مناحى العلم والفكر والإبداع ليصنع عالماً أكثر تقدماً وتحضراً ورقياً.

إن معركة النقاب حامية الوطيس التى تدور رحاها فى الداخل والخارج ليــست إلا تعبيراً عن البطالة الفكرية، والتصحر العقلى، والفراغ النفسى، إنها تدل على أننا نحن المسلمون نخوض معارك دونكشوتية لا طائل من ورائها غير إضاعة الجهــد والوقت والعمر فى أمور لا تقدمنا خطوة واحدة نحو المستقبل بل تجعلنا نتقهقر إلى الماضى البعيد.

إن المعركة الحقيقية التى يجب أن نسعى إليها هى تحقيق العدالة والقضاء على الفقر والتسول والبطالة والجهل والمرض، إنها المعركة التى تطلق حريــة الــرأى والفكر والإبداع وتدين مصادرة الكلمة ومنطق تكميم الأفواه، وخنق الكلمــات فــى الحناجر، وقص أجنحة الحرية واغتيال العقل على مذبح الخرافات. إنها المعركــة التى نأخذ فيها بأسباب العلم والتقدم فى شتى مناحى الحياة لكى ننتج ما نأكلــه ولا نصبح عالة على عالم يسارع الخطى نحو المستقبل، ونحن نجلــس فــى مقاعــد المتفرجين الخاملين لا نملك غير إثارة القضايا الهامشية.

متى نفيق من هذه الغيبوبة التى طالت وأحكمت قبضتها على أرواحنا وعقولنــا وأجسادنا، متى نعيد للعقل فاعليته ومكانته واحترامه لنثبت لأنفسنا وللعالم من حولنا أننا بشراً يستحقون شرف هذه الحياة.

تطبيق الشريعة الإسلامية
فى بلاد الأمريكان!!!

فى الوقت الذى تتصاعد فيه موجات الغضب والسخط فى العالم الإسلامى على الغرب، وفى الوقت ذاته الذى أصبح ينظر فيه أغلب الناس فى الغرب إلى أى مسلم على أنه إرهابى، ومع موجات سوء الفهم المتبادل بدءاً بإثارة مشكلة الحجاب فى فرنسا وانتهاء بمشكلة النقاب فى بريطانيا، وبالرغم من عدم قناعتى بدعوات بعض المفكرين ورجال الدين للتبرع بالمال لإنشاء القنوات الإعلامية التى تعمل على تحسين صورة الإسلام وإزالة المغالطات التى تلتصق بالرسول والمسلمين، إلا إن هناك من يثير الغبار ويشعل نار الخلاف قبل أن تهدأ العواصف.

فى جريدة "المصرى اليوم" عدد ٨٦٧ قرأت هذا الخبر (فتوى تفجر مخاوف أمريكية من تغلغل نفوذ الإخوان المسلمين فى الولايات المتحدة)، فتوى جديدة من تلك الفتاوى التى تنهال علينا ليل نهار أصدرتها "جمعية الأمريكان المسلمين" بتحريم توصيل سائقى التاكسى المسلمين للركاب والمسافرين فى المطارات والذين يحملون فى حقائبهم أى نوع من أنواع الخمور.

لقد جاءت هذه الفتوى لتتماشى مع اعتقاد سائقى الأجرة المسلمين بأن الإسلام يحرم الخمر ويحرم نقله، وهذه المشكلة ليست وليدة هذه الأيام بل كما يقول أحد الكتاب "دانيال بابيس" إنها ترجع إلى عقد من الزمان حيث امتنع عن ذلك بعض سائقى الأجرة من المسلمين.

وفى عام ٢٠٠٠ أصبح الأمر يتمتع بالعلانية، ففى إحدى المناسبات رفض ١٦ سائقاً الواحد تلو الآخر نقل راكب يحمل زجاجات خمر مما دفع هذا الراكب إلى الشعور وكأنه ارتكب جريمة، رغم أنه لم يفعل شيئاً مخالفا للقانون أو الأخلاق.

لقد أثار هذا الموقف غضب الكثيرين من أصحاب الديانات الأخرى وكذلك بعض المسلمين غير المتشددين على السواء، ويعلق "دانيال بابيس" إن هذه الواقعة تحمل فى طياتها تداعيات ونتائج كثيرة تتعلق بمستقبل الإسلام فى الولايات المتحدة.

ونحن نتساءل لماذا هذا التضخيم وهذا الافتعال والاختلاق لقضايا تفجر سخط الغرب وتأجج نار الكراهية أكثر وأكثر تجاه المسلمين؟، ما هذه الحساسية المفرطة التى قد تصل إلى مرحلة الهوس والمرض الدينى؟ هل بهذه السلوكيات سوف يثبت سائقو الأجرة المسلمون أنهم متدينون ويحافظون على دينهم حتى لو تعارض ذلك مع حرية الآخرين الذين لا يدينون بالإسلام؟ ولماذا هذا الحرص على إثبات أنهم مسلمون؟ إن كان لديهم قناعة راسخة بقوة إسلامهم فما حاجتهم لإثبات ذلك فى كل مناسبة؟ هل هم بهذه الطريقة يحافظون على قوانين الدولة المدنية ويحترمونها، تلك

الدولة التى أوتهم وكفلت لهم العمل الذى عز عليهم فى بلادهم التى تدين بالإسلام؟ هل باختلاق وافتعال هذه السلوكيات يحسنون صورة الإسلام أم يشوهونها؟

إن هذه التصرفات ليست إلا شكلاً من أشكال العنصرية والتعصب الأعمى ضد الآخرين ممن ينتمون إلى الديانات الأخرى.

إن موقف هؤلاء السائقين من الركاب فى مطار "مينيابليس ـ سانت بول الدولى" يمكن أن تفتح الباب لسلسلة من الممارسات الأخرى فى المستقبل، وليس فقط فى المطار بل فى عموم الولايات المتحدة كأن يمتنع السائقين عن توصيل النساء اللاتى تكشفن عن أذرعهن أو شعورهن، ويشترطوا أن ترتدى المرأة الحجاب أو النقاب حسب قناعتهم لكى يقوموا بتوصيلهن، ويضيف بابيس "قد يمتنعوا أيضاً عن نقل أزواج الرجال والنساء من غير المتزوجين، وبنفس المنطق يستطيعون الامتناع عن خدمة من يرتدى القبعات من الرجال، وعن خدمة أتباع الهندوسية أو الملحدين، والعاملين فى البنوك والمصارف" على اعتبار أن هذه المصارف غير إسلامية.

هل تريد جمعية الأمريكان المسلمين تطبيق الشريعة الإسلامية فى أمريكا؟!

لقد تعدت هذه الممارسات الولايات المتحدة إلى ملبورن فى استراليا ففى جريدة الرياض ليوم الاثنين ٢٠٠٦/١٠/٩، عدد ١٣٩٨٦ رفض سائقو التاكسى المسلمون فى ملبورن نقل الركاب الذين يحملون الخمور، واشتكى ٢٠ ضريراً على الأقل من أن السلطات لا تنفذ الشرط القضائى الذى يلزم سائقى التاكسى والمطاعم والفنادق والمحال التجارية بقبول الكلاب المرشدة حمل فاقدى البصر.

إن أعداد السائقين المسلمين ليست قليلة كما قد يتصور البعض ففى ملبورن وحدها نحو ٢٠٠٠ سائق، أما فى "مطار مينيابليس ـ سانت بول الدولى" قد تزايد عددهم إلى أنهم يمثلون ثلاثة أرباع السائقين والذى يبلغ ٩٠٠ سائق.

لقد قدم "نيل سانتش" المتحدث باسم رابطة سائقى التاكسى بفكتوريا التماساً لرجال الدين الإسلامى بإصدار فتوى تسمح لسائقى التاكسى من المسلمين بحمل الكلاب المرشدة والركاب الذين يحملون زجاجات الخمر المغلقة.

إن سلوك "نيل سانتش" يدل على أن بعض رجال الدين أصبح لهم سطوة وقوة لإصدار الفتاوى التى تبيح أمراً ما أو تحرمه، لقد أصبحوا وسطاء بين الله والإنسان. ولم لا فنحن نعيش فى عصر كرنفال الفتاوى، فتاوى من الداخل وفتاوى من الخارج.

لقد قفزت هذه البلاد قفزات كبيرة لتتجنب الخلط بين الدين والسياسة، فقد أدركت مدى فداحة هذا الخلط واستفادت من الدروس القاسية التى حدثت فى أوروبا عندما أريقت الدماء وسالت بحور الدم بسبب الجمع بين الدين والسياسة، لقد كانت القوانين المدنية هى الحل الذى حرر السياسة كما حرر الدين على السواء، وكانت الثمرة تقدماً وتطوراً هائلاً ومذهلاً فى شتى مناحر الحياة.

لقد أبت هذه البلاد ألا تعود إلى الوراء، لكن جمعية المسلمين الأمريكان مازالت تعيش فى غياهب الماضى وتحلم بتطبيق الشريعة الإسلامية فى بلاد الأمريكان، هل تريد جمعية المسلمين الأمريكان أن تسير على درب الفتوحات الإسلامية فتفتح أمريكا وتتابع الزحف إلى أوروبا ومن بعدها استراليا وسائر بلاد العالمين؟!

لقد عبر أحد الشيوخ المسلمين الذين يعيشون فى الولايات المتحدة أن البلاد الإسلامية فى مطاراتها تفتقد إلى مثل هذه القوانين التى تمنح السائقين المسلمين حق الامتناع عن توصيل الركاب الذين يحملون زجاجات مغلقة من الخمور فى حقائبهم لأنها لا تطبق الشريعة الإسلامية! هكذا رأى الشيخ، فما كان منه إلا السعى جاهداً لتطبيقها فى بلاد الأمريكان، أليس ذلك مضحكاً مبكياً!!

إن الولايات المتحدة دولة تطبق القوانين المدنية وأغلبها مواطنيها ليسوا من المسلمين بل تتعدد دياناتهم، وينص الدستور الأمريكى على حرية الاعتقاد، فلا أحد يتدخل فى دين الآخر ولا يفرض عليه طقوسه الدينية أو تصوراته الدنيوية التى تتعلق بهذا الدين.

لقد فتحت الولايات أبوابها لأى إنسان مهما كانت ديانته، لكن على كل فرد احترام الديانات الأخرى، أما أن يفرض أصحاب ديانة معينة أفكارهم أو سلوكياتهم المستمدة من الدين على الآخرين فهذا ما يتنافى مع القوانين المدنية التى فى جوهرها لا تفرق بين الناس مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية، أو الطائفية. وعلى الرغم من ذلك يطلع علينا بعض المسلمين المتشددين فى الولايات المتحدة وأوروبا واستراليا ــ من حين لآخر ــ "بفتاوى الكراهية" هؤلاء الذين يعيشون بأجسادهم داخل هذا العصر أما عقولهم فتهيم فى عصر آخر مضى تجتر منه أحكاماً منتهية الصلاحية تتعارض مع مصالح الناس ومنافعهم.

إن القوانين المدنية فى الولايات المتحدة الأمريكية لا تفرق بين إنسان وآخر، وهذا باعتراف كثير من المسلمين الذين يعيشون فيها لسنوات طويلة، وهذه القوانين هى أكثر عدلاً وإنصافاً من تلك التى تحكم بها مجتمعاتنا الإسلامية.

إن هناك وهم كبير يروج له أغلب المفكرين الإسلاميين وكذلك أغلب الناس من العامة فى العالم الإسلامى، وهو أن هناك مؤامرة من الغرب للقضاء على الإسلام، وإذا كنا هنا نتحدث عن منطق المؤامرة فنحن ــ بهذه الممارسات العقيمة وبفتاوانا التى تشعل نار الكراهية وتنفى الآخر ــ نتآمر على أنفسنا وليس الغرب، إننا نتآمر على أنفسنا لأن كل ما نفعله فى حياتنا هو رد فعل أهوج وصدى باهت لما يحدث فى عالمنا، إننا نتآمر على أنفسنا لأننا قد أدمنا الدخول فى معارك شكلية لن تشبع جائعاً أو تمنح عملاً لعاطل أو تنقذ مريضاً لا يمتلك ثمن العلاج.

إننا نتآمر على أنفسنا لأن هذه هى النماذج الصارخة لمشكلاتنا التى تؤرقنا نحن المسلمون فى العالم الإسلامى، كيف تتغطى النساء؟ بالحجاب أم بالنقاب؟ كيف يصلى النساء؟ بجوار الرجل أم أمامه أم وراء الأولاد فى الصفوف الخلفية؟،

التماثيل هل هى حلال أم حرام؟، عدم جواز تقلد المرأة لرئاسة الجمهورية لأنها تحيض؟ هل يجوز لسائق سيارة أجرة أن يحمل راكباً فى حقيبته زجاجة من الخمر؟، وهل يجوز أن يحمل فى سيارته إنساناً ضريراً يلازمه كلبه الذى يستعين به ليرشده إلى الطريق؟.

هذه هى نماذج لقضايانا التى نمضى العمر كله نحارب من أجلها!.

سنظل فى مؤخرة الأمم إذا كانت هذه هى مشاكلنا وقضايانا التى تؤرقنا ليل نهار فنتراشق بالسب والقذف وأبشع الاتهامات كى يثبت كل طرف للآخر أنه على حق وأنه الوحيد الذى يفهم الإسلام الصحيح.

إن تضخيم الأمور الصغيرة والتعصب لقضايا شكلية يدل على فقدان الثقة بالنفس والذات، فالواثقون فى أنفسهم وفى عقيدتهم يتعالون فوق الصغائر ويحكمون العقل ويسيرون فى طريقهم دون النظر إلى الوراء فيتسامون بدينهم وبعقلهم ليثبوا نحو المستقبل غير عابئين إلا بما ينمى ويضاعف إنسانيتهم.

هل حان وقت اليقظة أم أننا نصر بهذه العقلية المتحجرة على الهرولة سريعاً تجاه الانتحار.